الاستطراد

(دراسة تاريخية فنية تطبيقية)

دكتور

سعد الدين كامل عبد العزيز شحاته

أستاذ مساعد في قسم البلاغة والنقد

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فالبلاغة العربية إلى عهد الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) كانت علماً واحداً أساسه «النظم» الذي تتفرع منه مسائل المعاني، ومن هذه المعاني تتكون الصور البيانية الرائعة من تشبيه ومجاز وكناية واستعارة وتمثيل على حدّ الاستعارة متضمنة قِيَماً جمالية راجعة إلى جمال المعاني قبل أن تكون زينة للألفاظ[١]، فعبد القاهر كان يستعمل البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكلّ ما شاكل ذلك بمعنىً واحدٍ: هو التعبير عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم[٢]، فلما جاء السكاكي (ت٦٢٦هـ) قام بتقسيم البلاغة إلى علمي المعاني والبيان، ووضع أنواع البديع تحت اسم المحسنات وقسَّمها مهتدياً بابن سنان الخفاجي (ت٤٦٦هـ) إلى محسنات لفظية ومحسنات معنوية وفصلها عن علمي المعاني والبيان، ثم أتى من بعده الخطيب القزويني (ت٧٣٩هـ) فضَمَّ هذه المحسنات التي ذكرها السكاكي تحت اسم البديع وانتهت إلى ذلك علوم البلاغة بأقسامها الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) لكنهم جعلوا علم البديع مختصّاً بوجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة "وبهذا أنزلوه منزلة دانية بعد علمي المعاني والبيان، ووضعوه في ذيل البلاغة، وحكموا على مباحثه بأنها محسنات عرضية لا ذاتية، وحلى للتزيين والتجميل، لا دخل لها في بلاغة الأسلوب، ولا تتوقف عليها مطابقته لمقتضيات الأحوال، وقد صادف هذا الحكم رواجاً لدى أصحاب الشروح والحواشي والتقريرات، وشايعهم

---

(١) نظرية البيان بين عبد القاهر والمتأخرين، حسن إسماعيل عبد الرزاق. ص٢٥٣.

(٢) الدلائل – تحقيق محمود محمد شاكر– ص٤٣. ط/الهيئة العامة للكتاب.

بعض الدارسين والباحثين في العصر الحديث، وتمخض عن ذلك انصراف الهمم عن تحصيل مباحث هذا العلم وتوقفت الأذهان عن بحث أسراره، وسبر أغواره، فخلت معظم الكتب البلاغية الحديثة من مباحثه، واقتصر بعضها على عرض الذائع من ألوانه عرض الزاهدين، وهذا غمط لمكانة هذا العلم وحط لقدره وشأنه"[١].

وفي الجانب الآخر نجد أن بعض الدارسين لهذا العلم في القديم والحديث نظروا إليه نظرة موضوعية بعيدة عن عوامل الانحطاط الخارجية التي ألَّمت به في حقب القحط الفكري والجفاف الفني، فهم يرون فيه قيمة كبرى وأنَّه يقف ندّاً لعلمي المعاني والبيان لأثره البارز في العبارة[٢].

ومن تتبعي لفنون هذا العلم رأيت فنّاً منه وهو الاستطراد يكاد يمثل ظاهرة أسلوبية واضحة في الأدب العربي القديم شعراً ونثراً فهو كثير الدوران على ألسنة الشعراء حتى لا تكاد تخلو قصيدة شعرية منه في العصر الجاهلي وما تلاه من عصور صدر الإسلام والأموي والعباسي كذا في نثر الكُتَّاب وخطب الخطباء في هذه العصور، كما لم يخلُ القرآن الكريم من هذا الأسلوب ولا الحديث النبوي الشريف ووجدت أنَّ هذه الكثرة تبعث في النفس عدة تساؤلات هي:

أولاً: لماذا لم يهتم به علماء البلاغة قديماً فنّاً وتطبيقاً فقد خلت بعض الكتب البلاغية القديمة من الحديث عنه وبعضها الآخر ذكره ولكن لم يوفِّه حقَّه من البحث، والبعض الثالث وهي كتب قليلة درسته دراسة علمية ناضجة كما سنرى في الفصل الأول.

ثانياً: لماذا لم يهتمّ به علماء البلاغة في العصر الحديث فيصنفوا فيه كما صنفوا في غيره من فنون البديع.

---

(١) دراسات منهجية في علم البديع – د. الشحات محمد أبو ستيت: ص٣.

(٢) فنّ البديع د. عبد القادر حسين: ص٣٢، ط دار الشروق. بتصرف.

ثالثاً: لماذا لم يهتموا بدراسته دراسة تطبيقية على النص الأدبي. فعلى الرغم من كثرة المؤلفات التي ألفت في علم البديع في العصر الحديث إلا أنها خلت في معظمها من الحديث عن الاستطراد كفنٍّ بديعي، وسنرى ذلك في الفصل الأول، وأمَّا الدراسة التطبيقية له فلا نكاد نرى إلا دراسة تطبيقية أدبية بعنوان: الاستطراد في الشعر الجاهلي بين الأصول الفنية والدواعي النفسية للدكتور/ عبد الخالق بن مساعد الزهراني في قسم الأدب والبلاغة بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وإذا تركنا كثرة دورانه في الأدب العربي القديم والحديث على السواء شعراً ونثراً ونظرنا إلى قيمته البلاغية والجمالية العظيمة التي تلبي حاجة المتكلم لأداء معانيه والتي ستتضح جلية في الفصل الثالث من هذا البحث رأينا الحاجة ماسة إلى دراسة علمية جادة تسدّ تلك الثغرة في الدراسات البلاغية في العصر الحديث ولا تدع مجالاً لهذه الأسئلة؛ لذا ألزمت نفسي أن أطلب العون من الله تعالى وأن أُشَمِّر عن سواعد الجدّ والاجتهاد للقيام بهذه الدراسة فكان عنوانها: الاستطراد دراسة تاريخية فنية تطبيقية.

أسباب اختيار الموضوع:

ومما حفزني إليها عدة حوافز أجملها في التالي:

١- لم أجد دراسة علمية أفردت هذا الفنّ البديعي«الاستطراد» بالحديث عن نشأته وتطوره وقيمته الفنية ولا عن تطبيقاته في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والنثر العربي والشعر في غير العصر الجاهلي.

٢- اهتمام بعض قدامى البلاغيين وحفاوتهم بالاستطراد وتفصيلهم الكلام فيه فأردت أن أجمع كلامهم هذا وأنسقه حتى تسهل الإفادة منه ويكون في متناول الدارس.

٣- شيوع وكثرة الاستطراد في الأدب العربي شعراً ونثراً قديماً وحديثاً خاصة في الشعر الجاهلي وما تلاه من عصور الاحتجاج.

٤- قيمته الجمالية والبلاغية إذ إنه يرتبط بالدواعي النفسية للمتكلّم.

٥- إثراء هذا الفن بشواهد جديدة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي بدلاً من الشواهد التي اقتصر عليها البلاغيون.

خطة البحث:

ويتكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرسين:

المقدمة: وفيها أتحدث عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطته، ومنهجه.

المبحث الأول: الاستطراد النشأة والتطور، وفيه ثلاثة محاور:

المحور الأول: الاستطراد في ظلال الدراسات الأدبية والنقدية.

المحور الثاني: الاستطراد في ظلال الدراسات البلاغية القديمة.

المحور الثالث: الاستطراد في ظلال الدراسات البلاغية الحديثة.

المبحث الثاني: الاستطراد دراسة فنية، وفيه ثلاثة محاور:

المحور الأول: تعريف الاستطراد في اللغة والاصطلاح.

المحور الثاني: الفرق بين الاستطراد وبين ما تشابه معه من الفنون البلاغية.

المحور الثالث: قيمة الاستطراد البلاغية.

المبحث الثالث: الاستطراد دراسة تطبيقية، وفيه ثلاثة محاور:

المحور الأول: الاستطراد في القرآن الكريم.

المحور الثاني: الاستطراد في الحديث النبوي الشريف.

المحور الثالث: الاستطراد في الشعر.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الفهارس: فهرس المصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

المنهج:

أمّا عن المنهج الذي تسير عليه الدراسة فهو المنهج التكاملي الذي يجمع المنهج التاريخي والفني والتحليلي؛ إذ إن عملي في هذا البحث يقتضي دراسة الاستطراد عند

علماء البلاغة قديماً وحديثاً وتتبع تطوره، ويقتضي أيضاً تحقيق معناه وتمييزه عن غيره من الفنون البلاغية التي تتشابه معه ثم دراسته دراسة تطبيقية في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي.

وأخيراً أحسب أن هذه الدراسة تسدّ تلك الثغرة التي أشرت إليها سابقاً، فإن كانت كما حسبتُ فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، وإن كانت الأخرى فحسبي أنّي اجتهدت وأخلصت النية لله تعالى.

المبحث الأول

"الاستطراد النشأة والتطور"

وفيه ثلاثة محاور :

المحور الأول: الاستطراد في ظلال الدراسات الأدبية والنقدية.

المحور الثاني: الاستطراد في ظلال الدراسات البلاغية القديمة.

المحور الثالث: الاستطراد في ظلال الدراسات البلاغية الحديثة.

المحور الأول

الاستطراد في ظلال الدراسات الأدبية والنقدية

استعمال العرب للاستطراد قديم قدم الشعر الجاهلي، وإلى هذا الرأي ذهب أكثر النقاد حيث قالوا: إن الاستطراد تقليد فني بنيت عليه القصيدة في العصر الجاهلي[١]. فقد كان من تقاليدهم الثابتة العريقة كثرة الاستطراد والانتقال من معنى إلى معنى آخر دون تمهيد أو مناسبة[٢]. ولكثرة هذا الاستطراد في شعرهم وشيوعه فيه "زعم بعض النقاد أن الاستطراد أساس في الشعر الجاهلي[٣]. وهذه النشأة يطلق عليها النشأة الفنية أي وجود الفنّ في كلام البلغاء دون معرفتهم باسمه وهي غير مقصودة لي هنا في هذا المبحث إنما مقصودي هو الحديث عن ظهور المصطلح أي تسميته باسم خاص به، لا يتناول ما عداه وهي مرحلةقديمة أيضاً عند الجاحظ وأبي تمام الشاعر والبحتري "وعلى الرغم من أن هذا الفنّ كان قليلاً في شعر أبي تمام إلاَّ كتب البلاغة والنقد اصطلحتعلى أنّ أبرز مثال للاستطراد هو المثال المتخرج من شعر أبي تمام، والذي لفت أبو تمام نظر البحتري إلى هذا اللون، وعرفه له بأن اسمه المستطرد عندما أنشد قصيدته:

وسابح هطل التعداء هتَّان على الجراء أمين غير خوان

وروت كتب البلاغة أن أبا تمام سأله البحتري: ما هذا من الشعر؟ فقال له: لا أدري، قال: هذا المستطرد، أو قال: الاستطراد، فقال له البحتري: وما معنى ذلك؟ قال أبو تمام: يُرى أنه يريد وصف الفرس، وهو يريد هجاء عثمان، ويبدو أن البحتري قد أعجبه هذا اللون فعمد إلى معارضته[٤].

---

(١) الاستطراد في الشعر الجاهلي بين الأصول الفنية والدواعي النفسية د/عبد الخالق بن مساعد الزهراني ص: ٢٧ وما بعدها، رسالة ماجستير مخطوط في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) الشعر الجاهلي، عبد المنعم خفاجي، ص: ٣١٧، ط/دار الكتاب اللبناني.

(٣) العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف، ص: ٢٢٤. والاستطراد في الشعر الجاهلي: ص ٢٧.

(٤) الفن والصنعة في مذهب أبي تمام د/محمود الربداوي، ص: ٦٥، ٦٦. ط/ المكتب الإسلامي.

١- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر :

يعرِّف أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) في كتابه (الصناعتين الكتابة والشعر) الاستطراد بقوله: هو أن يأخذ المتكلّم في معنى فبينا يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سبباً إليه.

فأبو هلال يجعل الاستطراد معنيين ينتقل المتكلم فيه من المعنى الأول إلى المعنى الثاني، ثم يأتي بمثال واحد من القرآن الكريم، بينما يكثر من الاستشهاد من الشعر العربي في عصوره المختلفة مفضلاً بعض الأمثلة على بعض وكأن حاسته النقدية تأبى عليه من سرد الأمثلة دون التعليق عليها. والآية التي استشهد بها على الاستطراد هي قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى ﴾[١].

وأبو هلال يحلل الاستطراد في الآية مظهراً جماله فيقول: فبينا يدلّ الله سبحانه وتعالى على نفسه بإنزال الغيث واهتزاز الأرض بعد خشوعها... قال: " إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ فأخبر عن قدرته على إعادة الموتى بعد إفنائها وإحيائها بعد إرجائها.. وقد جعل ما تقدم من ذكر الغيث والنبات دليلاً عليه ولم يكن في تقدير السامع لأول الكلام.. إلا أنه يريد الدلالة على نفسه بذكر المطر دون الدلالة على الإعادة فاستوفى المعنيين جميعاً"[٢].

أمَّا أمثلة المنظوم التي استشهد بها أبو هلال فبعضها قد نقله عن السابقين وبعضها أتى به من عنده، ولم يتأثَّر بمن سبقه فيها، فمثال الأول قول السموأل:

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا ما رَأَتْهُ عامِرٌ وَسَلُولُ

---

(١) سورة فصلت، من الآية ٣٩.

(٢) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر – أبو هلال العسكري – حققه الدكتور مفيد قميحة: ص٤٤٨، ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

ويعلق على البيت بقوله: (إذا ما رأته عامر وسلول) استطراد. ومثال الأول قول حسَّان:

إنْ كنتِ كاذبة الذي حدّثتِني فنجوتِ منجى الحارثِ بن هشامِ
تَرَكَ الأحِبّة أنْ يقــاتلَ دونَهمْ وَنجا برَأس طِمِرَّة وَلِجـــــامِ

ويعلق بقوله: وذلك أن الحارث بن هشام فرَّ يوم بدر عن أخيه أبي جهل، وقال:

اللهُ يَعْلَمُ مَــا تَرَكْتُ قِتَالَهُـــــمْ حَتى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشْقَرَ مُزْبــدِ
وَشَمِمْتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ فِي مَأْزِقٍ وَالْخَيْـــلُ لَمْ تَتَبَدَّدِ
وَعَلِمْتُ أنِي إنْ أقَاتِــلْ وَاحِــداً أقْتَلْ ولاَ يَضْرُرْ عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالأَحِبَّــةُ فِيهِــمِ طَمَعًا لَهمُ بِعقَابِ يَوْمٍ مرْصِــدِ

ويعلق بقوله: وهذا أول من اعتذر من هزيمة رويت عن العرب، ثم يصدر حكماً نقديّاً بظرف الاستطراد في قول مسلم:

أجدكِ ما تدرين أنْ ربَّ ليلةٍ كأنَّ دجاها من قرونك يُنْشَرُ
لهوت بها حتى تجلَّــت بغُرَّةٍ كغرَّة يحيى حين يُذْكَرُ جَعْــفَرُ

ثم يبين أبو هلال أنّ الاستطراد يقرب من باب حسن الخروج الذي استقصى القول فيه آخر كتابه.

والاستطراد عند أبي هلال ضربان: الأول قد مضى الحديث فيه وهو أن يكون بين معنيين مذكورين ينتقل المتكلم من أحدهما إلى الآخر.

أمَّا الضرب الثَّاني عنده فيقول فيه: "ومن الاستطراد ضرب آخر وهو: أن يجيء بكلام يظن أنه يبدأ فيه بزهد وهو يريد غير ذلك كقول الشاعر:

يا من تشاغــل بالطّللْ أقصِرْ فقد قَرُب الأجــل
واصِلْ غَبوقــك بالصَّبُو حِ وعَدِّ عن وصف المَللْ

ومن الجدير بالذكر أن أبا هلال لا يفرق بين الاستطراد وبين حسن الخروج، فقول مسلم السابق الذي حكم عليه بالظرف أعاد ذكره مرة ثانية في أمثلة الاستشهاد

للخروج مبيناً أن المحدثين قد أكثروا في هذا الخروج[١].

وبذلك نرى أن مصطلح الاستطراد عند أبي هلال العسكري لم يستقرّ.

ب - كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده :

فإذا وصلنا إلى ابن رشيق (ت٤٦٣هـ) في كتابه العمدة وجدناه يفرد الاستطراد بباب مستقل[٢]، ينبّه فيه على عدّة أمور هي تحديد المفهوم، والتفريق بينه وبين غيره من الفنون البلاغية، ثم يضرب الأمثلة الجيدة له، ويجعل الإدماج نوعاً منه وكذا التفريع، فيقف عنده ويحدد مفهومه فيقول: وهو أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد[٣].

وفي موضع آخر من كتابه العمدة يعرف الاستطراد بقوله: "أن يبني الشاعر كلاماً كثيراً على لفظة من غير ذلك النوع، يقطع عليها الكلام، وهي مراده دون جميع ما تقدم، ويعود إلى كلامه الأول وكأنما عثر بتلك اللفظة عن غير قصد ولا اعتقاد نية، وجلُّ ما يأتي تشبيهاً"[٤].

وبعد أن حدد ابن رشيق المصطلح أخذ في التفريق بين الاستطراد وبين ما يمكن أن يشابهه من بعض الوجوه كالخروج والالتفات.

فهو يقول في باب المبدأ والخروج والنهاية: "ومن الناس من يسمي الخروج تخلصاً وتوسلاً، وينشدون أبياتاً منها:

إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعـــــه فليس به بأس ولو كان من جرم

ولو أن جرماً أطعموا شحم جفرة لبانوا بطاناً يضرطون من الشحم

---

(١) كتاب الصناعتين: ص ٥١٥.

(٢) ٥٢- باب الاستطراد.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تأليف الإمام أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق محمد قرقزان: ٦٢٨/١، ط دار المعرفة، بيروت لبنان.

(٤) العمدة: ٤١٢/١.

وأولى الشعر أن يسمى تخلصاً ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى، ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره، ثم رجع إلى ما كان فيه"[١].

ثم يفرق بين الاستطراد والالتفات بعد أن يعرف الالتفات بقوله: "أن يكون الشاعر آخذاً في معنى فيعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي به ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل بالثاني في شيء "، ثم يقول: "ومنزلة الالتفات في وسط البيت كمنزلة الاستطراد في آخر البيت، وإن كان ضده في التحصيل؛ لأن الالتفات تأتي به عفواً وانتهازاً، ولم يكن لك في خَلَد فتقطع له كلامك، ثم تصله بعد إن شئت، والاستطراد تقصده في نفسك وأنت تحيد عنه في لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره، أو تلقيه إلقاء وتعود إلى ما كنت فيه"[٢].

وأتى ابن رشيق بأمثلة ونماذج جيدة أخذ بعضها ممن درس هذا الفنّ قبله وبعضها قد سبق إليه، وقد زين هذه الأمثلة بحسه النقدي فحكم على بعضها بالوضوح تارة وبالجودة تارة أخرى، وحلل الاستطراد وشرحه شرحاً جيداً مفرقاً بينه وبين الخروج تارة ثالثة فيقول: وأوضح الاستطراد قول السموأل وهو أول من نطق به حيث يقول:

ونحن أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطـــول

ثم يعلق ابن رشيق على قول السموأل بقوله: " واتبعه الناس، فقال الفرزدق وأجاد:

كأن فقاح الأسد حول ابن مسمع إذا اجتمعوا أفواه بكر بن وائل

ثم أتى جرير فأربى وزاد بقوله:

لما وضعت على الفرزدق ميسمي وضغا البعيث جدعت أنف الأخطل

---

(١) العمدة: ٤١٢/١.

(٢) العمدة: ٦٣٨/١.

فهجا واحداً واستطرد باثنين..

وقال مخارق بن شهاب المازني يصف معزى:

ترى ضيفها فيها يبيت بغبطة وضيف ابن قيس جائع يتحوَّب

فوفد ابن قيس هذا على النعمان بن المنذر فقال: كيف المخارق بن شهاب فيكم؟ فقال: سيد شريف، حسبك من رجل يمدح تيسه ويهجو ابن عمه.

ثم يحكم ابن رشيق بالجودة على استطراد بشار بن برد فيقول: "ومن جيد الاستطراد قول دعبل بن علي الخزاعي، ويروي لبشار بن برد وهو أصح:

خليلي من كلب أعينا أخاكما على دهره، إن الكريم معين

ولا تبخلا بخل ابن قزعة إنه مخافة أن يرجى نداه حزين

إذا جئته في الفرط أغلق بابه فلم تلقه إلا وأنت كمين

ويذكر ابن رشيق أن أبا تمام كان عنده علم بهذا المصطلح وكان يتعمّده يقول: "وأنشد البحتري أبو تمام لنفسه في صفة فرس واستطرد يهجو عثمان بن إدريس الشامي:

وسابح هطل التعداء هتان على الجراء أمين غير خوان

أظمى الفصوص وما تظمى قوائمه فخل عينيك في ظمآن ريان

فلو تراه مشيحاً والحصى زيم تحت السنابك من مثنى ووحدان

أيقنت إن لم تَثَبَّتْ أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان

فقال له: أتدري ما هذا من الشعر؟ قال: لا أدري، قال: هذا الاستطراد، أو قال: المستطرد.

فيبدو أن تسمية هذا الفن بالاستطراد قديمة، وأن أبا تمام أول من خلع عليه هذا اللقب[1].

---

(١) البحث البلاغي والنقدي عند ابن رشيق في كتابه العمدة: ص ٢٩٨.

ولا يكتفي ابن رشيق بسرد الأمثلة بل يعلق عليها ويبرز وجهة نظره فيها مصححاً للسابقين بعض ما وجده عندهم فمثلاً يقول: قال الحاتمي[١]: وقد يقع من هذا الاستطراد ما يخرج به من ذم إلى مدح كقول زهير:

إن البخيل ملوم حيث كان ولـــ ـــكنَّ الجواد على علاته هرم

فيعلق ابن رشيق بقوله: "فسمى الخروج استطراداً كما تراه اتساعاً"[٢].

فالبيت في نظره من الخروج وليس من الاستطراد فينقد كلام الحاتمي في أدب جمّ، فيبين أن هذا الإطلاق إنما يصحّ من باب الاتساع لا من باب التحقيق.

وأنشد أيضاً في الخروج بالاستطراد من مدح إلى ذمّ قول بكر بن النطاح يمدح مالك بن طوق:

عرضت عليها ما أرادت من المنى لترضى، فقالت: قم فجئني بكوكب
فقلت لها: هـــذا التعنت كله كمن يتشهى لحم عنقـــاء مغرب
سلي كل أمر يستقيـــم طلابه ولا تســـألي يا در في كل مذهب
فأقسم لو أصبحت في عزِّ مالك وقدرتِه أغنى بما رمـــتُ مطلبـــي
فتى شقيت أموالـــه بنوالـــه كما شقيت قيسٌ بأرماح تغـــلب

ويعلق ابن رشيق بقوله: " فهذا مليح: أوله خروج، وآخره استطراد، وملاحته أن مالكاً من بني تغلب فصار الاستطراد زيادة في مدحه، وزعم قوم أنه يمدح مالك بن علي الخزاعي"[٣].

وابن رشيق في دراسته للاستطراد يسمي نوعاً منه باسم الإدماج، وهذا النوع من الاستطراد «الإدماج» دقيق في نظره؛ لذا قلَّ وروده على ألسنة المتكلمين، ومثَّل له ابن رشيق بمثالين أحدهما شعراً والآخر نثراً.

---

(١) حلية المحاضرة: ١/١٦٥.

(٢) العمدة: ١/٦٣٠.

(٣) العمدة: ١/٦٣١.

يقول ابن رشيق: "ومن الاستطراد نوع يسمى الإدماج، وذلك نحو قول عبيد الله بن طاهر لعبد الله بن سليمان بن وهب حين وَزَرَ المعتضد:

أبي الدهر من إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمـــــن نحب ونكرم

فقلت له: نعماك فيهم أتمهـــــا ودع أمرنـــا؛ إن المهـــــم المقدم

ويمثل بمثال آخر من النثر فيقول: وحكى أحمد بن يوسف الكاتب أنه دخل على المأمون وفي يده كتاب من عمرو بن مسعدة يردد فيه النظر، فقال: لعلك أَفْكَرْتَ في ترديدي النظر في هذا الكتاب؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: إني عجبت من بلاغته واحتياله لمراده «كُتِبَ كتابي إلى أمير المؤمنين -أعزه الله- ومن قِبَلي من قوَّاده وأجناده في الطَّاعة والانقياد على أحسن ما يكون عليه طاعة جُنْدٍ تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم» ألا ترى يا أحمد إدماجه المسألة في الإخبار، وإعفاء سلطانه من الإكثار؟ ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر.

وهذا النوع أقل في الكلام من الاستطراد المتعارف وأغرب"[(١)].

كذا جعل ابن رشيق التفريع نوعاً من الاستطراد يتبوأ مكانة ومنزلة منه كمكانة ومنزلة التدريج من التقسيم. يقول ابن رشيق مبيناً تعريف التفريع وحدِّه ومكانته من الاستطراد: "وهو من الاستطراد كالتدريج من التقسيم، وذلك أن يقصد الشاعر وصفاً ما، ثم يفرِّع منه وصفاً آخر يزيد الموصوف توكيداً، نحو قول الكميت:

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم يُشْفَى بها الكلب

ويعلق ابن رشيق بقوله: "فوصف شيئاً ثم فرَّع شيئاً آخر لتشبيهه شفاء هذا بشفاء هذه"[(٢)].

وبعد أن حدَّ ابن رشيق التفريع وجعله نوعاً خاصّاً من الاستطراد أخذ في ضرب

---

(١) العمدة: ٦٣٢/١.

(٢) العمدة: ٦٣٣/١.

الأمثلة الكثيرة من جيِّد الشعر والنثر في عصوره المختلفة مشفعاً كل ذلك بأحكام نقدية تدلّ على أنه ناقد من كبار نقادنا العرب.

مقارنة بين دراسة أبي هلال العسكري وابن رشيق للاستطراد :

إنّ دراسة ابن رشيق للاستطراد تعدّ دراسة عميقة استطاع أن يحدد مفهومه بدقّة واعتمد على هذا التحديد كل من أتى بعده، كما نجد أنّه ضرب الأمثلة المتنوعة عليه من الشعر القديم والحديث. كما أننا نجده يقارن بين الاستطراد وما تشابه معه من الفنون البلاغيّة كالخروج والالتفات[1]. أمَّا دراسة أبي هلال العسكري للاستطراد فنجده يفرد فصلاً مستقلاً له يذكر فيه حدَّه وأمثلة له. كما نجده يبين أنه يقترب من حسن الخروج لكنه لا يوضح هذا القرب مما يعد كونه قاصراً في هذا الجانب. هذان الكتابان من أهمّ الكتب الأدبية والنقدية التي تحدثت عن الاستطراد كفنّ وإن كان المصطلح ما زال غير واضح فهو يختلط بغيره من الفنون البلاغية الأخرى.

(١) ينظر: الفرق بين الاستطراد والالتفات والخروج ص: ٣٩ من البحث.

المحور الثاني

الاستطراد في ظلال الدراسات البلاغية القديمة

1- كتاب البديع في نقد الشعر :

أمَّا أسامة بن منقذ (ت٥٨٤هـ) في كتابه: البديع في نقد الشعر فيعرف الاستطراد بقوله: "أنْ تمدح شيئاً أو تذمه ثم تأتي في آخر الكلام بشيء هو غرضك في أوَّله"[(١)].

ثم يمدحه في أشعار المتقدمين ويذمه في أشعار المتأخرين؛ لأن المتقدمين أتوا به طبعاً وطلبه المعنى والمقام، أما المتأخرون فقد قصدوه قصداً وعمدوا إليه عمداً، يقول ابن منقذ: "هو في أشعار المتأخرين بالقصد وفي أشعار المتقدمين بالطبع"[(٢)].

واستشهد بالشعر القديم من مثل قول السموأل المشهور وقول سيدنا حسان بن ثابت –رضي الله عنه– وقول زهير بن أبي سلمى، واستشهد أيضاً بشعر البحتري وأبي تمام ومسلم بن الوليد وابن المعتز وجرير.

٢- كتاب تحرير التحبير، وكتاب بديع القرآن :

فإذا وصلنا إلى ابن أبي الأصبع المصري (ت٥٨٥هـ–٦٥٤هـ) وهو علم في دراسة فنون البديع نجده يذكر أنّ الحاتمي في حلية المحاضرة نقل هذه التسمية عن البحتري الشاعر، ويذكر ابن أبي الأصبع أيضاً أنّ ابن المعتز أطلق عليه الخروج من معنى إلى معنى، وأنَّه فسَّره بقوله: هو أن يكون المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط أو الإخبار أو غير ذلك إلى معنى آخر يتضمن مدحاً أو قدحاً أو وصفاً أو غير ذلك، وأن ابن المعتز رأى أنَّ غالب وقوعه في الهجاء، ويشترط ابن أبي الأصبع أن يكون المستطرد به مذكوراً باسمه، وألاَّ يكون جرى له ذكر في الكلام قبل ذلك"[(٣)].

---

(١) البديع في نقد الشعر، أسامة بن منقذ، تحقيق: د. أحمد أحمد بدوي، ود. حامد عبد المجيد، ص: ٧٥، ط/مطبعة مصطفى الحلبي.

(٢) البديع في نقد الشعر، ص: ٧٥.

(٣)ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ص١٣١، وبديع القرآن ص٤٩.

وابن أبي الأصبع يستشهد على الاستطراد بقوله تعالى: ﴿أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾[١]، ويقول: ولم أظفر منه بشيء في القرآن المجيد إلا في هذا الموضع"[٢]، مع أنّ القرآن الكريم جاء الاستطراد فيه في غير هذا الموضع كما سنرى في المبحث الثالث.

ثم يذكر شواهد كثيرة من الشعر العربي معلقاً عليها بأحكام نقدية طريفة مثل قول سيدنا حسان بن ثابت –رضي الله عنه :

إنْ كنتِ كاذبة الذي حدّثتِني فنجوتِ منجى الحارثِ بن هشامِ

تَرَكَ الأحِبّة أنْ يقــاتلَ دونَهمْ وَنجا برَأس طِمِرَّة وَلِجــــامِ

وعلَّق عليه بقوله: "فهذا ما وقع من الاستطراد في الهجاء".

ثم يأتي بمجموعة من الأبيات الشعرية ويقيم عليها دراسة نقدية يظهر من خلالها قيمة ما وقع بها من استطراد فيقول: " هذا أبدع استطراد سمعته في عمري، فإنه قد جمع أحسن قسم وأبدع تخلُّص، وأرشق استطراد، وتضمن مدح الممدوح بالكرم، وقبيلته بالشجاعة والظفر، وهجاء أعدائهم بالضعف والخور، وهذا لم يتفق لمن قبله ولا لمن بعده"[٣].

ومن الأبيات التي استشهد بها على الاستطراد قول الشاعر:

عرضت عليها ما أرادت من المنى لترضى، فقالت: قم فجئني بكوكب

فقلت لها: هــــذا التعنت كله كمن يتشهى لحم عنقــــاء مغرب

سلي كل أمر يستقيـــم طلابه ولا تســـألي يا در في كل مذهب

فأقسم لو أصبحت في عزِّ مالك وقدرتِه أغنى بما رمـــتُ مطلبــي

---

(١) سورة هود من الآية ٩٥.

(٢) بديع القرآن لابن أبي الأصبع المصري، ص: ٤٩.

(٣) تحرير التحبير، ص: ١٣١.

فتى شقيت أموالـــــه بنوالـــه كما شقيت قيسٌ بأرماح تغـــــلب

ويستشهد ابن أبي الأصبع ببيتين في المجون يحكم على الاستطراد فيهما بالظرف والغرابة:

اكشفي وجهك الذي أوحلتني فيه من قبل كشفه عيناك

غلطي في هواك يشبه عنـــدي غلطي في أبي علي بن زاكي

٣- المصباح في المعاني والبيان والبديع :

أمَّا أبو عبد الله بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم (ت٦٨٦هـ) فقد عرَّف الاستطراد بأن يكون في شيء من الفنون فتوهم استمرارك فيه وتخرج منه إلى غيره، ثم ترجع فإن تماديت فذاك الخروج[١].

وبيَّن أنَّ أكثر ما يجيء في الهجاء كقول السموأل:

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا ما رَأَتْهُ عامِرٌ وَسَلُولُ

ويأتي في المدح كقول بكر بن النطاح:

عرضت عليها ما أرادت من المنى لترضى، فقالت: قم فجئني بكوكب

فقلت لها: هـــــذا التعنت كله كمن يتشهى لحم عنقـــــاء مغرب

سلي كل أمر يستقيـــــم طلابه ولا تســـــألي يا در في كل مذهب

فأقسم لو أصبحت في عزِّ مالك وقدرِته أغنى بما رمـــــتُ مطلبـــي

فتى شقيت أموالـــــه بنوالـــه كما شقيت قيسٌ بأرماح تغـــــلب

ويعلق على هذه الأبيات بقوله: "وهو أبدع استطراد وقع؛ لجمعه بأخصر لفظ وأحسن بيان بين مدح الممدوح بالكرم وقبيلته بالشجاعة والظفر وبين الهجو لأعدائهم بالضعف والخور"[٢].

---

(١) المصباح في المعاني والبيان والبديع، تأليف بدر الدين بن مالك الدمشقي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ص: ٢٣٧، ط/دار الكتب العلمية.

(٢) المصباح ص: ٢٣٧.

٤- كتاب الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة :

أمَّا ركن الدين محمد بن علي بن محمد الجرجاني (ت٧٢٩هـ) فقد ذكر إشارة إلى الاستطراد وعرَّفه بقوله: هو الانتقال من مقصود إلى آخر من غير أن يكون الأول وصلة إلى الثاني كقول الحماسي:

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إذَا ما رَأَتْهُ عامِرٌ وَسَلُولُ

والجرجاني يقصد ببيت السموأل بن عادياء.

ويستشهد أيضاً ببيت زياد الأعجم:

إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعـــــه فليس به بأس ولو كان من جرم

ثم ينقل الجرجاني عن الزمخشري ولكنه يعترض عليه فيقول: قال الزمخشري: ومن الاستطراد قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[١].

يعلق بقوله: "وفيه نظر لعدم انتقاله فيها من معنى إلى آخر؛ لأنها كلها في معنى اللباس[٢]. ولأستاذنا الدكتور فريد النكلاوي لفتة جميلة عند تحكيمه لهذا البحث يرد فيها على اعتراض ركن الدين محمد الجرجاني الذي اعترض به على الزمخشري فيقول: بل كلها لباس؛ لأن لباس التقوى على سبيل الاستعارة فالتقوى ليست ثوباً.

٥- الإيضاح :

كانت دراسة الخطيب للاستطراد مقتضبة اقتصر فيها على تعريفه والتمثيل له بقول الحماسي وقول زياد بن الأعجم وقوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٦.

(٢) الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تأليف: ركن الدين محمد بن علي بن محمد الجرجاني، علَّق عليه ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين ص: ٢١٤، ط/دار الكتب العلمية، بيروت.

يَذَّكَّرُونَ ﴾[١].

وعلق الخطيب على هذه الآية بقوله: يقول الزمخشري: هذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر السوءات وخصف الورق عليها إظهارا للمنة فيما خلق الله من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى"[٢].

وبيت الحماسي وقد استشهد به معظم من تحدث عن الاستطراد:

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا ما رَأَتْهُ عامِرٌ وَسَلُولُ

وقول زياد الأعجم هو:

إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعـــــه فليس به بأس ولو كان من جرم

أراد الوعظ فاستطرد إلى ذمّ قبيلة جرم.

ولكن الجديد الذي تنبَّه إليه الخطيب في درسه للاستطراد هو التفريق بينه وبين إيهام الاستطراد الذي جعله بعض علماء العصر الحديث من باب حسن التخلص[٣].

والخطيب يعرف إيهام الاستطراد بقوله: "هذا أصله وقد يكون الثاني هو المقصود فيذكر الأول قبله ليتوصل إليه"[٤].

ويوضح الشيخ عبد المتعال الصعيدي المراد من قول الخطيب فيقول: يعني أن هذا أصل الاستطراد؛ اسم إشارة يعود إلى كون الأول لم يقصد ذكره التوصل إلى ذكر الثاني"[٥].

ويستهد الخطيب على إيهام الاستطراد بقول أبي إسحاق الصابي:

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٦.

(٢) الإيضاح مع البغية: ٢٢/٤.

(٣) بغية الإيضاح، عبد المتعال الصعيدي: ٢٢/٤. ط/مكتبة الآداب.

(٤) الإيضاح مع البغية: ٢٢/٤.

(٥) بغية الإيضاح: ٢٢/٤.

إن كنت خنتك في المودة ساعة فذممت سيف الدولة المحمـــودا
وزعمت أن له شريكا في العلى وجحدته في فضله التوحيـــدا
قسما لو أني حـــالف بغموسها لغـــريم دين ما أراد مزيـــدا

ثم يعلـــق الخطيب على هذه الأبيات بقوله: ولا بأس بأن يسمى هـــذا إيهـــام الاستطراد.

٦ - كتاب التبيان في البيان :

أمّا شرف الدين الطيبي (ت٧٤٣هـ) في كتابه التبيان في البيان فيعرف الاستطراد بقوله: وهو أن تكون في شيء من الفنون، ثم سنح لك فنّ آخر يناسبه فتورده في الذكر، كما إذا تكون في حكاية زيد، ثم سنح لك حكاية أخرى فيه أو في غيره تناسبها فتوردها"[١].

ثم يعلق الطيبي على هذا التعريف ببيان أصله اللغوي فيقول: " هو مأخوذ من فعل الصائد يطارد صيداً فيتلقاه آخر فيقصده"[٢].

ثم يقسم الطيبي الاستطراد إلى نوعين مستشهداً على كلٍّ منهما من القرآن الكريم فيقول: وهو نوعان: الأول: ما يكون التعلق بعيداً بينه وبين أصل الكلام، وذلك بأن يكون تابعاً للتابع، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٣]، وبين قوله تعالى: ﴿الم ، ذَلِكَ الْكِتَابُ لا

(١) التبيان في البيان، تأليف شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي (ت٧٤٣هـ)، قرأه وعلق عليه: يحيى مراد، ص: ١٨٦، ط/دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) التبيان ص: ١٨٦.

(٣) سورة البقرة، الآية ٦.

رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاة وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[١]، فإن ذكر الكفار تابع لذكر المؤمنين، أي مستطرد له، وليس بينه وبين ذكر الكتاب مناسبة، ففصل، وكذا فصل قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾[٢]، عما قبله لكون السابق سيق لبيان إظهار سوءة آدم وحواء وخصف الأوراق عليهما بسبب العصيان والتالي لبيان إظهار المنة علينا بما خلق من اللباس والزينة، وللإشعار بأن التستر باب عظيم في التقوى.

النوع الثاني: ما يكون التعلق قريباً كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً ﴾[٣]، فعطف (ومن كُلٍّ) لكونه مناسباً لأصل الكلام وهو البحران المعنيُّ بهما الكافر والمؤمن، وكذا في قوله: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾[٤]، جيء به مستطرداً بين قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٥]، وبين قوله: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ ﴾ الآية[٦]، ولما كان مناسباً للأصل وصل به،

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١-٣.

(٢) سورة الأعراف، من الآية ٢٦.

(٣) سورة فاطر، من الآية ١٢.

(٤) سورة لقمان، الآية ١٤.

(٥) سورة لقمان، الآية ١٣.

(٦) سورة لقمان، من الآية ١٦.

واعترض في الاستطراد جملة قوله: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾[١]، بين المفسِّر والمفسَّر.

ثم يذكر الطيبي قيمة الاستطراد وفائدته على غير عادة من سبقه من العلماء فيقول: "وفائدة الاستطراد التحريض على قبول موعظة الآباء وأنهم محقوقن بأن يكونوا مشكورين.

وفائدة الاعتراض التوكيد في التوصية في حقهم وبالوالدة خصوصاً لما تكابد من مشاقّ الحمل والإرضاع[٢].

٧- كتاب الطراز :

تعدّ دراسة الاستطراد عند العلوي دراسة منظمة جادة، فقد بدأ دراسته بالحديث عن قيمته البلاغية، ثم ببيان أصله اللغوي واشتقاقه، ثم ذكر أمثلة له من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه، ومن كلام البلغاء من الشعراء[٣].

ومما يميز العلوي في دراسته للاستطراد أنّه كان حصيفاً في نقد الأمثلة التي أوردها فكان يفرق بين الاستطراد وبين غيره من الفنون البلاغية التي تتشابه معه، فمثلاً تعليقه على قول الشاعر:

وأحببت من حبِّها الباخلين حتى ومقت ابن سلم سعيدا
إذا سيل عرفاً كسا وجهه ثيابا من اللؤم بيضاً وســـودا

فقوله: (حتى ومقت ابن سلم سعيدا) من الاستطراد؛ لأنه صدَّر البيت بذكر كونه محبّاً لكل بخيل فصار أجنبيّاً بالإضافة إلى ما صدر به الكلام، هكذا أورده عبد

---

(١) سورة لقمان، من الآية ١٤.

(٢) التبيان ص: ١٨٧.

(٣) الطراز، يحيى بن حمزة العلوي: ٣/١٥-١٦، ط/دار الكتب العلمية.

الكريم في أمثلته، ثم يستدرك ما وقع فيه عبد الكريم من خطأ فيقول: "وليس منه أي من الاستطراد؛ لأنّ حقّ الاستطراد أن يكون وارداً بين كلامين متلائمين، فأما عدُّه في الخروج لكونه مشتملاً على معناه وحقيقته كما تراه في ظاهره فهو جيد لا غبار عليه بالإضافة إلى المقصد الذي قصده كما أوضحناه[١].

ولو تأملنا كلام العلوي السابق لوجدناه في منتهى الدقة قائم على حسن التفريق بين الاستطراد وبين الخروج أو حسن التخلص أو المخلص، فالفارق بينهما من نظره أن الاستطراد لابد فيه من رجوع المتكلم إلى الكلام الأول، وهذا ما عليه جمهور البلاغيين، ويعجب العلوي باستطراد بكر بن النطاح يمدح أميره بقوله:

فأقسم لو أصبحت في عزِّ مالك وقدرتِه أغنى بما رمتُ مطلبـــي

فتى شقيت أموالـــــه بنوالـــه كما شقيت قيسٌ بأرماح تغلب

فهذا وأمثاله من عجيب الاستطراد؛ لأنّ قوله: (كما شقيت قيسٌ بأرماح تغلب) كلام دخيل وارد على جهة الاستطراد، جمع فيه بين مدح الرجل بالكرم وقبيلته بالشجاعة والظفر وبين ذم أعدائهم بالضعف والجبن والخور، وهذا بديع في سياقه وفائدته ومحصوله كما ترى[٢].

---

(١) الطراز: ١٧/٣.

(٢) الطراز: ١٨/٣.

٨- كتاب شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع :

أمّا صفي الدين الحلبي (ت٧٥٠هـ) في كتابه شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع فيكتفي بتعريف الاستطراد، والفرق بينه وبين الخروج ويضرب عليه مثلاً واحداً من الشعر يقول: "والاستطراد هو أن يكون الشاعر آخذاً في غرض من أغراض الشعر من غزل أو وصف أو غيره فيستطرد منه إلى ذكر غيره بنوع من أنواع البديع ثم يعود إلى ما كان فيه، فإن لم يعد فهو خروج وأكثر ما يقع في الهجاء.

ثم يضرب المثل وهو قول السموأل بن عادياء:

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مـــا رَأَتْهُ عـــامِرٌ وَسَلُولُ

فاستطرد من الفخر بالشجاعة إلى ذم أعدائه[١].

٩- كتاب شروح التلخيص :

لم تكن دراسة الاستطراد عند شراح التلخيص متميزة عن غيرهم بل اقتصروا على تعريفه بأنّه: الانتقال من معنى لمعنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل لذكر الثاني، ورددوا قول بدر الدين بن مالك بأنه قليل في القرآن الكريم من غير أن يقفوا أمام هذا القول ويردوا عليه، وأتوا بمثالين له من الشعر قد سبقهما علماء البديع في الاستشهاد بهما على الاستطراد وهما:

قول الحماسي:

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مـــا رَأَتْهُ عـــامِرٌ وَسَلُولُ

وكان التعليق بسيطاً «أراد مدح نفسه فاستطرد لذم قبيلتين»[٢].

أما المثال الثاني الذي استشهد به الشراح فهو قول أبي إسحاق الصابي:

إن كنت خنتك في المودة ساعة فذممت سيف الدولة المحمـــــودا

---

(١) شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، تأليف صفي الدين الحلي (ت٦٧٧-٧٥٠هـ)، تحقيق نسيب نشاوي، ط/مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

(٢) شروح التلخيص: ٣١٥/٤، ط/دار الكتب العلمية.

وزعمت أن له شريكا في العلى وجحدته في فضله التوحيـــــدا
قسما لو أني حـــالف بغموسها لغـــــريم دين ما أراد مزيـــــدا

وكان استشهادهم به على إيهام الاستطراد وليس على الاستطراد نفسه، وعرفوه بأن يكون الثاني هو المقصود فيذكر الأول قبله ليتوصل إليه[١].

وسنتحدَّث عن الفرق بين الاستطراد وإيهام الاستطراد في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

١٠-كتاب القول البديع في علم البديع :

عرَّف الحنبلي (ت١٠٣٣هـ) الاستطراد في اللغة بقوله: مصدر استطرد الفارس لقرنه في الحرب، وذلك بأن يفرّ من بين يديه يوهم الانهزام ثم يعطف عليه على غرّة منه، وهو ضرب من المكيدة.

ويعرفه اصطلاحاً: أن يكون المتكلم في مدح أو غيره، فيتوهم السامع أنه مستمر فيه، ثم يخرج منه إلى غيره لمناسبة بينهما مصرحاً باسم المستطرد به آخر كلامه، وبه يفارق المخلص[٢].

ثم يقوم بتقسيمه إلى ثلاثة أنواع:

استطراد غير مقصود لا تقوية لما قبله، نحو:

بالروح أفدي غادة ذي عـــادة بالهجر ليس ترى لديـــها مرحمة
يلهيك خُلْف حديثها ووعودها عن خلف عرقوب بخلف المواعيد

وإلى هجاء مسيلمة بالكذب حيث ادعى النبوة[٣].

---

(١) شروح التلخيص: ٣١٥/٤.

(٢) القول البديع في علم البديع، مرعى بن يوسف الحنبلي، تحقيق د. محمد علي الصامل، ص: ١٣١، ط/ كنوز إشبيليا.

(٣) القول البديع في علم البديع ص: ١٣١.

النوع الثاني: استطراد غير مقصود، وفيه تقوية لما قبله كقول بعضهم يمدح ابن حجر العسقلاني:

أيا حبذا النيل المبارك جـــارياً بمصر كجري النيل من علمائها

وإلاَّ كجود العسقلاني من إذا شها بالذي العَلْيَا بأفق سمائها

الاستطراد ذِكْر ابن حجر ومدح نواله، وفيه تقوية لمدح علماء مصر؛ لأنه منهم وغير مقصود؛ لأن ابتداء الكلام لم يكن لمديحه[١].

ويعلق د. الصامل على البيتين بقوله: "وهما لابن قرقماس، وقد صرح بأنه يمدح بهما ابن حجر، وهذا يخالف تعليق المؤلف بأن ابتداء الكلام لم يكن لمديحه"[٢].

النوع الثالث: استطراد مقصود وهو قليل، ويليق أن يسمى إيهام الاستطراد كقوله في ابن حجر أيضاً:

إن يبتسم ثغر الشريعة والندى يوماً فذلك من أبي العباس

هو جامع علم الحديث وحافظ ومفرق أمواله في النـــاس

ويعلق على البيتين بقوله: فهو مقصود؛ لأنّ أول جملة تركبت مقصوده لمديحه؛ إذ عند التصريح بذكره يفهم أنه المراد من أول اللفظ[٣].

---

(١) القول البديع في علم البديع ص: ١٣٢.

(٢) انظر: زهر الربيع ٣٣/أ، ص: ١٣٢.

(٣) البيتان لابن قرقماس. انظر: زهر الربيع: ٣٣/أ.

المحور الثالث

الاستطراد في الدراسات البلاغية والأدبية الحديثة

إذا ما وصلنا إلى العصر الحديث وجدنا الكثير من الكتابات الجيدة في علم البديع لكن الملاحظ على هذه الكتابات أنها قد أغفلت الحديث عن الاستطراد، وأهم هذه الدراسات التي لم تتحدث عن الاستطراد هي:

١- الصبغ البديعي في اللغة العربية، د. أحمد إبراهيم موسى.

٢- دراسات في علم البديع، أحمد محمد علي.

٣- علوم البلاغة، أحمد مصطفى المراغي.

٤- البلاغة والتحليل، انطوان مسعود البستاني.

٥- علم البديع، عبد العزيز عتيق.

٦- البلاغة الاصطلاحية، عبده عبد العزيز قلقيله.

٧- البلاغة فنونها وأفنانها، فضل حسن عباس.

٨- البديع تأصيل وتجديد، منير سلطان.

٩- فنّ البديع، عبد القادر حسين.

١٠-دراسات منهجية في علم البديع، أ. د. الشحات عبد الرحمن أبو ستيت.

أمَّا عن الدراسات التي تحدثت عن الاستطراد فهي قليلة جدّاً لعل أهمها دراسة: «الاستطراد في الشعر الجاهلي بين الأصول الفنية والدواعي النفسية». والباحث يورد في البداية تعريف ابن رشيق للاستطراد ثم ينطلق منه إلى البحث عمَّا إذا كان الاستطراد داخل القصيدة الجاهلية تقليداً فنيّاً يسير عليه الشعراء أو أنه بسبب من الدواعي النفسية، ولا دخل للتقاليد فيه[١].

---

(١) الاستطراد في الشعر الجاهلي ص: ١٥ وما بعدها.

وفي الباب الأول الذي جاء بعنوان: الاستطراد في أغراض الشعر جعله الباحث في سبعة فصول:

الفصل الأول: الاستطراد في شعر الغزل- الفصل الثاني: الاستطراد في شعر الوصف – الفصل الثالث: الاستطراد في شعر الفخر – الفصل الرابع: الاستطراد في شعر المدح –الفصل الخامس: الاستطراد في شعر الرثاء –الفصل السادس: الاستطراد في شعر الهجاء –الفصل السابع: الاستطراد في شعر الاعتذار[١].

أمّا الباب الثاني فكان بعنوان: الدراسة الفنية والنفسية للاستطراد وجعله الباحث في فصلين: الأول: الدراسة الفنية والنفسية للشكل الفصل الثاني: الدراسة الفنية والنفسية للمضمون[٢]. ثم كانت الخاتمة.

وهذه الدراسة بوجه عام دراسة أدبية نقدية استطاع كاتبها أن يغوص في أعماق الشعر الجاهلي ويستخرج هذا الكم الكبير من شواهد الاستطراد عند الشعراء الجاهليين ثم قام بتحليله تحليلاً دقيقاً أدبيّاً ينم عن ذوقه الراقي وحسّه النقدي الذي لا يخطئ مواطن الحسن في هذا الفن البديع.

---

(١) ينظر من ص٤٥-٢٧٥.

(٢) المصدر نفسه من ص٢٧٥-٣٨٢.

المبحث الثاني

الاستطراد دراسة فنية

وفيه ثلاثة محاور :

المحور الأول: تعريف الاستطراد في اللغة والاصطلاح.
المحور الثاني: الفرق بين الاستطراد وبين ما تشابه معه من الفنون البلاغية.
المحور الثالث: قيمة الاستطراد البلاغية والجمالية.

المحور الأول

تعريف الاستطراد

الاستطراد في اللغة: يقال: اطَّرَدَ الشيءُ تَبِعَ بعضُه بعضاً وجرى، ... واطَّرَدَتِ الأَشياءُ إِذا تَبِعَ بعضُها بعضاً، واطَّرَدَ الكلامُ إِذا تتابَع"[١].

وذهب العلوي إلى أنه مشتق من قولهم: أطرده السلطان إذا أخرجه من بلده؛ لأن المتكلم يخرج من كلامه إلى كلام آخر، ومنه الحديث: التهجد مطردة للحسد، أي: أنه يخرج الحسد من الإنسان. وقال العلوي أيضاً: يمكن اشتقاقه من الاتساق، ففي حديث الإسراء: فإذا هرّان يُطردان منه طراد الفرسان، وفي حديث ابن عباس حين تكلم أمير المؤمنين في الخلافة فعرض له في أثناء الخطبة، فقال له ابن عباس: لو أطردت مقالتك يا أمير المؤمنين، فقال: يا ابن عباس تلك شِقْشِقَةٌ هَدَرَتْ ثُمَّ قرَّتْ، ومعناه لو اتَّسَقَتْ مقالتك الأولى؛ لأن المتكلّم يرجع من كلامه الذي أدخله على كلامه الأول وينسقه عليه فيتلاءم ويتسق، فيمكن تقرير اشتقاقه على هذين الوجهين[٢].

وقال ابن رشيق: "أصل الاستطراد أن يريك الفارس أنه فرَّ، وإنما فرَّ ليكر، وكذلك الشاعر يريك أنه في شيء فعرض له شيء لم يقصد إليه فذكره، ولم يقصد قصده حقيقة إلا إليه"[٣].

وقيل: إنّ أصل الاستطراد في الصائد الذي يعدو وراء صيده فيعن له صيد آخر فيترك الأول إلى الثاني، ثم استعملت في الانتقال من كلام إلى آخر على سبيل الحقيقة بسبب كثرة الاستعمال في هذا المعنى[٤].

---

(١) لسان العرب– مادة: طرد.

(٢) الطراز العلوي: ١٢.

(٣) العمدة: ٦٣١/١.

(٤) التصوير المجازي والكنائي، د. إصلاح الدين غراب: ص ٣٠.

الاستطراد في اصطلاح الأدباء والبلاغيين.

عرَّفه أبو هلال العسكري بـــ"أن يأخذ المتكلم في معنى فبينا يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سببا إليه"(١).

وعرَّفه ابن رشيق القيرواني بـــ"أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد، وإن تمادى فذلك خروج، وأكثر الناس يسمي الجميع استطراداً"(٢).

وعرَّفه الخطيب بقوله: "هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به، لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني"(٣)، وبذلك استقرّ تعريف الاستطراد في الفنّ.

أول من أطلق اسم الاستطراد على هذا الفن:

ذكر الحاتمي في حلية المحاضرة أنه نقل هذه التسمية من البحتري الشاعر. بينما ذكر غيره أنَّ البحتري نقلها عن أبي تمام.

أول شاهد أورده العلماء على الاستطراد:

قول السموأل بن عادياء:

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا ما رَأَتْهُ عامِرٌ وَسَلُولُ

فقد خرج من الفخر إلى هجاء عامر وسلول.

ومن الشواهد القديمة التي أوردها العلماء له- قول سيدنا حسان بن ثابت - رضي الله عنه-:

إنْ كنتِ كاذبة الذي حدّثتِني فنجوتِ منجى الحارثِ بن هشامِ

تَرَكَ الأحِبّة أنْ يقــاتلَ دونَهمْ وَنجــا برَأس طِمِرَّة وَلِجـــــامِ

فقد استطرد من الغزل إلى هجو الحارث بن هشام.

---

(١) كتناب الصناعتين: ص٤٤٨، ط/دار الكتب العلمية.

(٢) العمدة: ٦٢٨/١، ط/دار المعرفة.

(٣) الإيضاح مع البغية: ٢٢/٤، ط/مكتبة الآداب.

المحور الثاني

الفرق بين الاستطراد وما تشابه معه من الفنون البلاغية.

أولاً: الفرق بين الاستطراد والتفريع:

بينت فيما سبق أن ابن رشيق القيرواني جعل التفريع من الاستطراد، وأن موقعه من الاستطراد كموقع التدريج أو التدرج من التقسيم أي أنه يأخذ مكانة كبيرة من الاستطراد.

ولم أر غيره قد سوَّى بينهما في المعنى بل إنّ جُلَّ البلاغيين قد جعلوا كلاًّ منهما قائماً بنفسه فأفردوا لكل منهما فصلاً مستقلاًّ، وحينما نتأمل في المعنى اللغوي لكل منهما وفي تعريف البلاغيين لهما نجد أن بينهما فرقاً دقيقاً جعل البلاغيين لا يدمجون بينهما في فصل واحد.

أولاً: التفريع في اللغة من الفعل فرَّع، بمعنى فرَّق، والتفريع مصدر قولك: فرعت من هذا الأصل فروعاً بمعنى: استخرجتها.

أمَّا الاستطراد في اللغة فهو مصدر استطرد الفارس من قِرْنِه في الحرب، وذلك أن يفرَّ من بين يديه يوهمه الانهزام، ثم يعطف عليه على غرة منه، وهو ضرب من المكيدة.

ثانياً: الفرق بينهما في الاصطلاح :

فالتفريع في الاصطلاح أن ترتب حكماً على صفة، ثم ترتب ذلك الحكم بعينه على صفة أخرى[1].

أمَّا الاستطراد في الاصطلاح فهو أن يكون الشاعر في غرض من أغراض الشعر يوهم أنّه مستمرّ فيه، ثم يخرج منه إلى غيره لمناسبة بينهما ثم يرجع إلى الأول ويقطع الكلام، فلا يكون المستطرد به آخر الكلام.

---

(١) القول البديع في علم البديع، مرعى بن يوسف الحنبلي: ص١٣٤.

من خلال التأمل في التعريفين اللغوي والاصطلاحي نجد أن بين التفريع والاستطراد فرقاً دقيقاً يكمن في أن الانتقال في الاستطراد يكون من معنى قائم بذاته إلى معنى آخر قائم بذاته ثم يرجع المتكلم إلى المعنى الأول.

أمَّا في التفريع؛ فإنّ المتكلم يصف شيئاً بوصف ما، ثم يرجع فيصف شيئاً آخر بصفة مشابهة للصفة التي وصفت بها الشيء الأول من غير رجوع إلى الأول، فلم تتحقق الاستقلالية في الانتقال بين المعنيين الأول والثاني فأحدهما يشبه الآخر في صفته؛ لذا كان متفرعاً عليه فهو منه بمنزلة الفرع من الأصل. كما أن المتكلم لم يرجع إلى المعنى الأول، وكان أكثر تعريفات البلاغيين دلالة على هذا الفرق بين الاستطراد والتفريع هو تعريف حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء للتفريع بقوله: "هو أن يصف الشاعر شيئاً بوصف ما، ثم يلتفت إلى شيء آخر يوصف بصفة مماثلة أو مشابهة أو مخالفة لما وصف به الأول، فيستدرج من أحدهما إلى الآخر على جهة تشبيه أو مفاضلة أو التفات أو غير ذلك، مما يناسب به بين بعض المعاني وبعض فيكون ذكر الثاني كالفرع من ذكر الأول[١].

ثانياً: الفرق بين الاستطراد والإدماج :

الإدماج: اللف، يقال: أدمج الحبل أي أجاد فتله، ودمج الشيء إذا دخل في الشيء واستتر فيه، فالإدماج: إدخال الشيء في الشيء.

وعرفه أبو هلال العسكري بقوله: هو أن يتضمَّن الكلام معنيين: معنىً مصرّح به، ومعنى كالمشار إليه، وسماه المضاعفة، ومثَّل له بقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لا يَعْقِلُونَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ ﴾[٢] ، فالمعنى المصرّح به في هذا الكلام أنه لا

---

(١) المعجم المفصل في علوم البلاغة: ص٤٠٠.

(٢) سورة يونس، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

يقدر أن يهدي من عمي عن الآيات، وصمّ عن الكلم البينات، بمعنى أنه صرف قلبه عنها فلم ينتفع بسماعها ورؤيتها. والمعنى المشار إليه: أنه فضّل السمع على البصر، لأنه جعل مع الصمم فقدان العقل، ومع العمى فقدان النظر فقط[١].

هذا وقد عقد كلّ البلاغيين باباً للإدماج بينما عدَّه ابن رشيق من الاستطراد.

ويظهر عند التأمُّل أنَّ الحقّ مع البلاغيين في فصل الاستطراد عن الإدماج، وعدِّ كلٍّ منهما باباً قائماً بنفسه؛ إذ الفرق بينهما جوهري، فالاستطراد انتقال من معنى إلى آخر بلفظين مختلفين ثم عود إلى المعنى الأول، بينما في الإدماج يكون الانتقال من معنى إلى معنى آخر بلفظ واحد، فهذا اللفظ الواحد يفهم منه المعنيان كما سبق في الآية، ومثل قول الأخطل:

قومٌ إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النَّار

فلفظ (بولي على النار) يفهم منه معنى وهو بخلهم، وهذا المعنى كأنه مصرح به في اللفظ بينما هذا اللفظ يشير إلى معنى آخر وهو الإشارة إلى مهانتهم ومهانة أمهم عندهم.

ومما يعضّد هذا الفرق بينهما معنى الإدماج اللغوي فنقول: أدمجت متاعي إذا أدخلته في ثوب أو حقيبة أو كيس أو نحوها، وقد عرفه بعض المحدثين بقوله: هو إدخال فكرة في فكرة، أو غرض بلاغي في غرض بلاغي آخر أو وجه من وجوه البديع في وجه آخر بأسلوب من الكلام لا يظهر منه إلاّ إحدى الفكرتين، أو أحد الغرضين، أو أحد الوجهين، فإذا تأمَّل المتفكر ظهر له المدمج وسرَّه هذا الإدماج.... كأن يوجَّه الكلام في القرآن لوعد الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالنصر والتأييد من الله – عز وجل– ويدمج فيه وعيد الكافرين بالهزيمة والانكسار والذلة والخذلان من الله

---

(١) المعجم المفصل في علوم البلاغة –البديع والبيان والمعاني، د. إنعام فوال عكاوي: ص٥٢، ط/دار الكتب العلمية.

عز وجل[١].

فالإدماج على هذا الفرق في اللغة والاصطلاح أخصّ من الاستطراد، يقول الطيبـــي في كتابه التبيان في البيان: الإدماج هو أن يضمن كلام سيق لوصفٍ وصفاً آخر، وهو أخصّ من الأول –أي الاستطراد– وأعمّ من الثاني –أي: الاستتباع– الذي يعرفه بقوله: هو الوصف بشيء يستتبع وصفاً آخر إمّا مدحاً أو ذمّاً[٢].

ثالثاً: الفرق بين الاستطراد والاستتباع :

عرَّف السكاكي الاستتباع بقوله : هو المدح بشيء على وجه يستتبع مدحاً آخر، وتبعه في هذا التعريف القزويني والسبكي والتفتازاني والحموي والسيوطي والمغربي والدمنهوري وغيرهم[٣].

وعرَّفه صاحب القول البديع في علم البديع بقوله: "هو أن يذكر مدحاً أو ذمّاً ثم يستتبع به معنى آخر من جنسه فلا يجوز استتباع المدح بذم وعكسه[٤].

وبذلك يظهر لنا من التعريف الفرق بينه وبين الاستطراد حيث إنّ المعنى المستتبع به يشترط أن يكون من جنس المعنى المستتبع، أما الاستطراد فلا يشترط أن يكون المستطرد به من جنس المستطرد.

رابعاً : الفرق بين الاستطراد وإيهام الاستطراد:

يعدّ الخطيب القزويني في كتابه الإيضاح هو الذي أوضح الفرق بينهما حيث جعل الاستطراد هو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل لذكر الثاني، بينما جعل إيهام الاستطراد هو أن يكون الثاني هو المقصود فيذكر الأول قبله ليتوصل إليه، وجعل منه قول إسحاق الصابي:

---

(١) البلاغة العربية، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: ٢/٢٢٧، بتصرف، ط/دار القلم، بيروت.

(٢) التبيان في البيان: ص١٨٧.

(٣) المعجم المفصل في علوم البلاغة: ص٦٩.

(٤) القول البديع: ص١٣٤.

إن كنت خنتك في المودة ساعة فذممت سيف الدولة المحمودا
وزعمت أن له شريكا في العلى وجحدته في فضله التوحيدا
قسما لو أنّي حالف بغموسها لغريم دين ما أراد مزيـــدا

قال الخطيب: ولا بأس بأن يُسمَّى هذا إيهام الاستطراد[١].

والأبيات لإبراهيم بن هلال المعروف بأبي إسحاق الصابي، وقوله: (ذممت) جملة دعائية)، وقيل: إنه يعني بسيف الدولة السلطان محمود بن سبكتكين، وكان يلقب بذلك ثم لقب يمين الدولة، والتوحيد: مفعول ثانٍ لقوله: جحدته يعني توحيد الناس إياه في الفضل والغموس: اليمين الكاذبة التي يتعمدها صاحبها، يعني أنه أقسم له على عدم خيانته بيمين لو حلف بها لصاحب دين على براءة ذمته لاكتفى بها؛ لأنّ عظيم شأنها وإثمها يقوم عنده مقام دينه، والشاهد في ذكره حديث خيانته ليتوصل به إلى مدح سيف الدولة[٢].

خامساً: الفرق بين الاستطراد والخروج (حسن التخلص والمخلص):

أن الاستطراد هو القصد إلى شيء ثم القطع والرجوع عنه إلى أصل الكلام الذي كان فيه أوَّلاً قبل أن يخرج عنه. أمّا الخروج فهو تنحي الشاعر أو الناثر عن غرضه الذي هو فيه بتحيل ولطف إلى غرض آخر، ثم التمادي في ذلك الغرض أو المعنى الآخر الذي خرج إليه دون أن يرجع إلى غرضه الأول ويظهر لنا فيما سبق. أنّ الاستطراد يشترط فيه الرجوع إلى الكلام الأول، وقطع الكلام بعد المستطرد به.

أمّا المخْلَص فلا يُشترط فيه الأمران، فإنه لا يرجع إلى الأوّل، ولا يقطع الكلام، بل يستمرّ إلى ما يخلص إليه؛ ولذا قال البلاغيون في تعريفه: هو أن يتخلص الناظم أو الناثر من معنى إلى آخر بألطف عبارة كأن يتخلص من غزل، أو فخر، أو وصف

---

(١) الإيضاح مع البغية: ٢٢/٤.

(٢) بغية الإيضاح: ٢٢/٤.

روض، أو طلل بال، أو ربع خال، إلى مدح، أو هجو، أو وصف حرب، أو غير ذلك[١].

فالشاعر أو الناثر ينتقل من فن من فنون الكلام إلى فن آخر أو من موضوع إلى موضوع آخر بأسلوب حسن غير مستنكر في النفوس ولا في الألباب، وأحسنه ما لا يشعر المتلقي معه بالانتقال.

سادساً: الفرق بين الاستطراد والالتفات والخروج:

أن الاستطراد هو: الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني، أمّا الالتفات فهو الخروج عن الغرض أو المعنى الذي كان فيه إلى غرض له، ولكنه خروج غير مقصود، وإنما يأتي إليه عفواً وانتهازاً، على أنه في الخيار في وصل كلامه في غرضه الأول بعد القطع والفصل بالالتفات إن شاء رجع لمعناه الأول وإن شاء لم يرجع[٢].

وعلى هذا يكون القصد في الخروج عن المعنى صفة تجمع بين في الخروج والاستطراد دون الالتفات. كما أن الرجوع إلى المعنى شرط لازم في الاستطراد، واختياري في الالتفات، وغير لازم ولا اختياري في الخروج بل يلزم ضده وهو التمادي في الغرض الذي خرج إليه[٣]. وابن رشيق يزيد الأمر وضوحاً حينما يوازن بين المبدأ والخروج والنهاية، يقول ابن رشيق في الخروج: "أما الخروج فهو عندهم شبيه بالاستطراد، وليس به؛ لأنّ الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيُّل ثم تتمادى فيما خرجت إليه كقول حبيب في المدح:

صُبَّ الفراقُ علينا صُبَّ من كثب ... عليه إسحاق يوم الرَّوع مُنْتَقِماً

سيف الإمام الذي سَمَّتْهُ هيبتهُ ... لما تخرَّم أهل الأرض مُخْتَرَمَا

---

(١) القول البديع: ص١١٧.

(٢) البحث البلاغي والنقدي عند ابن رشيق في كتابه العمدة ص ٢٩٣.

(٣) البحث البلاغي والنقدي عند ابن رشيق في كتابه العمدة ص ٢٩٣.

إلى آخر القصيدة[١].

ويقول في الاستطراد: " والاستطراد: أن يبني الشاعر كلاماً كثيراً على لفظة من غير ذلك النوع، يقطع عليها الكلام، وهي مُرَاده دون جميع ما تقدم، ويعود إلى كلامه الأول وكأنما عثر بتلك اللفظة عن غير قصد ولا اعتقاد نية، وجلُّ ما يأتي تشبيهاً وسيرد عليك في بابه مُبَيَّناً إن شاء الله تعالى"[٢]، ويوازن أيضاً ابن رشيق بين الالتفات والاستطراد بقوله في تعريف الالتفات: " وهو الاعتراض عند قوم وسماه آخرون الاستدراك، حكاه قدامة. وسبيله: أن يكون الشاعر آخذاً في معنى فيعرض له غيره فيَعْدِلُ عن الأول إلى الثاني فيأتي به ثم يعود إلى الأول من غير أن يُخِلَّ بالثاني في شيء، بل يكون يشدُّ الأول" [٣].

وأنشدوا في الالتفات لبعض العرب:

فظلوا بيوم – دع أخاك بمثله – على مَشْرَعٍ يوفى، ولَمَّا يُصَرَّدِ

فقوله: (دع أخاك بمثله) التفات مليح[٤].

واستشهد ابن رشيق أيضاً للالتفات بقول عوف بن مُحَلَّم لعبد الله بن طاهر:

إنَّ الثمانين – وبُلِّغْتَها– قد أحْوَجَتْ سمعي إلى تُرْجُمانْ

فقوله: (بُلِّغْتَها) التفات، وقد عدَّه جماعة من الناس تتميماً، والالتفات أشكل وأولى بمعناه، ومنزلة الالتفات في وسط البيت كمنزلة الاستطراد في آخر البيت، وإن كان ضده في التحصيل؛ لأنّ الالتفات تأتي به عفواً وانتهازاً، ولم يكن لك في خَلَد،

---

(١) العمدة: ٤٠٩/١.

(٢) العمدة: ٤١٢/١.

(٣) العمدة: ٦٣٦/١-٦٣٧.

(٤) العمدة: ٦٣٧/١.

فتقطع له كلامك، ثم تصله بعد إن شئت، والاستطراد تقصده في نفسك وأنت تحيد عنه في لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره، أو تلقيه إلقاء، وتعود إلى ما كنت فيه"[١].

الفرق الثاني: أنه يمكن إطلاق الاستطراد على الخروج من باب المسامحة في الاصطلاح إذ الخروج قد يسمى استطراداً ليس على أنه هو وإنما على سبيل المسامحة والتجاوز والاتساع في الاستعمال اللفظي يشهد لذلك أنّ ابن رشيق نقل عن الحاتمي: وقد يقع من هذا الاستطراد ما يخرج به من ذم إلى مدح كقول زهير:

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ ـكنَّ الجـ ـواد على علاته هرم

يقول ابن رشيق معلقاً: "فسمى الخروج استطراداً كما تراه اتساعاً"[٢].

وأنشد في الخروج بالاستطراد من مدح إلى ذمّ قول بكر بن النطاح يمدح مالك بن طوق:

عرضت عليها ما أرادت من المنى لترضى، فقالت: قم فجئني بكوكب

فقلت لها: هـذا التعنت كله كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب

سلي كل أمر يستقيم طلابه ولا تسأليِ يا در في كل مذهب

فأقسم لو أصبحت في عزِّ مالك وقدرتِه أغنى بما رمتُ مطلبي

فتى شقيت أموالـه بنوالـه كما شقيت قيسٌ بأرماح تغلب

يعلق ابن رشيق على هذه الأبيات بقوله: " فهذا مليح: أوله خروج، وآخره استطراد، وملاحته أن مالكاً من بني تغلب، فصار الاستطراد زيادة في مدحه، وزعم قوم أنه يمدح مالك بن علي الخزاعي"[٣].

---

(١) العمدة: ٦٣٨/١.

(٢) العمدة: ٦٣٠/١.

(٣) العمدة: ٦٣١/١.

سابعاً: الفرق بين الاستطراد عند الأدباء القدامى والمحدثين:

المراد بالاستطراد عند الأدباء المحدثين هو ما يستصحبه الكتاب والأدباء، ويلجأون إليه قصداً أو عفواً أثناء تناولهم لبعض الموضوعات الأدبية، فبينا يأخذ الكاتب أو الأديب في إنشاء موضوع أدبي يقتضي منه الإحاطة والاهتمام به، فلا يخرج عنه حتى يستكمل جوانب القول فيه، إذ به يخرج عنه ولا يصبر على الاستمرار فيه مستطرداً بموضوع آخر غير موضوعه الأصلي والسبب في هذا الاستطراد قد يرجع إلى الأمور الآتية:

أ – غلبة طبع هذا الأديب.

ب – أو وجود ظروف خاصة أملت عليه هذا الاستطراد.

ج – أو أنه أراد أن يستميل القارئ ويطرد السآمة عنه ويجلب له النشاط والحيوية.

وإذا جاء الاستطراد على هذا النحو فهو حسن ومقبول خاصة إذا اعتمد على الأسباب السابقة[1]. ويحلو هذا النوع من الاستطراد ويكاد يداخل الاستطراد الذي ورد بمفهومه البلاغي عند الشعراء قديماً وحديثاً في الحسن والجودة إذا جاء الكاتب أو الأديب بالاستطراد عفواً من غير تكلّف لم يطل فيه حتى لا ينسى المتلقي موضوعه الرئيس فسرعان ما يرجع إليه.

وهذا النوع من الاستطراد الذي شاع وانتشر في العصر الحديث خاصة بعد أن انتشرت الصحافة وظهرت طائفة من الكتاب والأدباء المبدعين ليس جديداً على أدبنا العربي فهو موجود منذ القديم أديب العربية الكبير أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ) يقول الأستاذ عبد السلام هارون –في مقدمة تحقيقه لكتابه البيان والتبيين للجاحظ– موضّحاً ومؤكّداً طبيعة فنّ وأدب الجاحظ وموقفه من الاستطراد" إنّ أدب الجاحظ في تأليفه أن يرسل نفسه على سجيتها، فهو لا يتقيد بنظام محكم يترسّمه، ولا

---

(١) البحث البلاغي والنقدي عند ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة: ص٢٩٢.

يلتزم منهجاً مستقيماً يحذوه ولذلك تراه يبدأ الكلام في قضية من القضايا، ثم يدعها في أثناء ذلك، ليدخل في قضية أخرى، ثم يعود إلى ما أسلف من قبل، وقد كانت هذه سبيل كثير من علماء دهره، كما أنّ علوَّ سنِّه وجدَّه التأليف في تلك الأبحاث التي طرقها، كل أولئك كان شفيعاً له في هذا الاسترسال والانطلاق. وكان أبو عثمان يشعر بذلك ويعتذر عنه أحياناً...." (١).

قلت: وكثيراً ما نجد الجاحظ في كتاب الحيوان يطلق عبارة: «ثم رجع بنا القول»(٢).

والجاحظ يبيِّن بلاغة هذا النوع من الاستطراد وسبب اللجوء إليه فيقول: "وسنذكر من هذا الشكل عِللاً، ونُورِدُ عليك من احتجاجات الأغبياء حُجَجاً فإنْ كنتَ ممَّن يستعمِل الملالةَ، وتَعْجَل إليه السآمة، كان هذا البابُ تنشيطاً لقلْبك وجَماماً لقوَّتك... وإن كنْتَ صاحبَ علمٍ وجِدٍّ وكنت مُمَرَّناً موقَّحاً، وكنتَ إلفَ تفكيرٍ وتنقيرٍ ودراسةِ كتُب وحِلفَ تبيين، وكان ذلك عادة لك، لم يضِرْكَ مكانه من الكِتاب، وتَخَطِّيه إلى ما هو أولى بك"(٣).

---

(١) البيان والتبيين – مقدمة المحقق ص: ٦.

(٢) انظر: كتاب الحيوان: ١٠٢/١، ٢٥٤/٢، ٢٦٣، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، الأولى سنة ١٣٨٧هـ.

(٣) الحيوان: ٣٩٩/٣، وانظر البحث البلاغي عند ابن رشيق القيرواني: ص ٣٠٢.

المحور الثالث

بلاغة الاستطراد

وتكمن بلاغته كما يقول العلوي بأنه نوع من علم البلاغة دقيق المجرى غزير الفوائد يستعمله الفصحاء ويعول عليه أكثر البلغاء وهو حسن كلّه[١].

وتكمن بلاغته أيضاً فيما يحققه من عنصر المفاجأة والمباغتة، فبينما يكون المخاطب مشغولاً بالمعنى المسوق له الكلام؛ إذ المتكلم يفاجئه بالمعنى الآخر الذي يستطرد إليه، وهذا يجعل المتلقي يشدّ إزره، ويجمع حواسه، ليتنبه إلى هذا المعنى الذي استطرد إليه المتكلم فيعيه ويثبت لديه. وفي الاستطراد دفع الملل عند السامع وبخاصة عندما يطول الكلام في بيان الغرض المقصود منه، فعندئذ يحتاج السامع إلى ما يدفع عنه الملل، وينشط الذهن، وينبه الفكر، وبعد أن يعيه السامع ويصغي إليه، وهذا كلّه مما يجعل المتكلِّم البليغ في حسبانه، ولو أننا تأملنا كلام ابن رشيق عن أصل اشتقاق الاستطراد من أنه يريك الفارس أنَّه فرَّ، وإنما فرَّ ليكر، وكذلك الشاعر يريك أنه في شيء فعرض له شيء لم يقصد إليه فذكره، ولم يقصد قصده حقيقة إلا إليه"[٢]، لوجدنا أنه يومئ به إلى قيمة الاستطراد البلاغية فهو يشبِّه المتكلِّم بالاستطراد بحال الفارس الذي يوهم الخصم أمامه أنّه فرَّ من ميدان المعركة لكن ما كان فراره إلا ليعيد الكرّ على الأعداء فكذلك الأمر في الاستطراد، فالمتكلِّم يكون في غرض أو معنى فيخرج منه إلى غيره ثم ما يلبث أن يقطع ما هو فيه ليعود إلى ما كان فيه من قبل على أن المتكلّم يخيل للمتلقي أن حال خروجه عن الأصل – الغرض أو المعنى الأصلي– عارض وغير مقصود، لكن هذا يكون في ظاهر الأمر، أما حقيقته فهو مقصود غير عارض وتكون النكتة البلاغية هي الدلالة على تمكن المتكلم بهذا الأسلوب من فنون القول وامتلاكه لناصيته وحسن تصريفه فيه فيضيف إلى أصل المعنى قوة ووضوحاً.

---

(١) الطراز: ١٢/٣، ط/دار الكتب العلمية.

(٢) العمدة: ٦٣١/١.

هذا وللاستطراد وظيفتان عند الشعراء وخاصة عند شعراء العصر الجاهلي وما وليه من عصور كعصر صدر الإسلام والأموي والعباسي هما: الوظيفة الأولى: أنه تقليد فني موروث عن القصيدة الجاهلية، والوظيفة الثانية: نفسية فالانتقال من غرض إلى غرض داخل القصيدة الواحدة إنما يعود إلى دوافع نفسية تدفع الشاعر إلى أن يبدأ بالغزل، ويذكر الناقة في بعض الأحيان، وتصرفه عنهما في أحيان أخرى(١)، والدكتور عبد الخالق الزهراني في رسالته الاستطراد في الشعر الجاهلي بين الأصول الفنية والدواعي النفسية يذهب إلى أن الشاعر في نظمه للقصيدة الجاهلية التي غلب عليها الاستطراد يجمع بين أمرين: التقليد والتعبير عن نفسه فهو مقلّد في منهجه الذي يسير عليه، ومعبر عن نفسه وحياته في مضمونه، وينقل نصّاً عن الدكتور يحيى الجبوري "فإن نظام القصيدة –وإن كان تقليداً فنّيّاً– فإنَّه في حقيقة الأمر ليس بعيداً عن واقع الحياة في البادية العربية"(٢). فالاستطراد من تقاليد الشعراء الثابتة العريقة ونهجهم في قصائدهم "كثرة الاستطراد والانتقال من معنى إلى معنى آخر دون تمهيد أو مناسبة"(٣). ولكثرة هذا الاستطراد في شعرهم وشيوعه فيه "زعم بعض النقاد أنّ الاستطراد أساس في الشعر الجاهلي"(٤).

فكثيراً ما نجد الشاعر يخرج عن الموضوع الذي يعالجه لمناسبة عارضة فيمضي مع موضوعه الجديد مفصلاً فيه، وكأنه نسي الموضوع الأصيل حتى يعود إليه آخر الأمر ليربط بين الموضوعين"(٥).

---

(١) وحدة القصيدة في الشعر العربي إلى نهاية العصر العباسي، د/حياة جاسم ص: ١٢٧، ط/دار العلوم بالرياض.

(٢) الشعر الجاهلي د/يحيى الجبوري ص: ٢٦٧، الاستطراد في الشعر الجاهلي بين الأصول الفنية والدواعي النفسية– إعداد عبد الخالق بن مساعد بن عبد الله الزهراني، ص:١٩، رسالة ماجستير مخطوط في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٣) الاستطراد في الشعر الجاهلي ص: ٢٧.

(٤) العصر الجاهلي، شوقي ضيف، ص: ٢٢٤، الاستطراد في الشعر الجاهلي: ص٢٧.

(٥) مقدمة ديوان الأعشى الكبير، محمد محمد حسين، ص: ٤٦، والاستطراد في الشعر الجاهلي: ص٢٧.

ولأهمية هذا الاستطراد وقيمته العالية عند الشعراء قد استطردوا في كل أغراضهم الشعرية في شعر الغزل[١]، في شعر الوصف[٢]، في شعر الفخر[٣]، في شعر المديح[٤]، في شعر الرثاء[٥]، في شعر الهجاء[٦]، في شعر الاعتذار[٧]، كما أنَّ الاستطراد يعدّ من عوامل وحدة العمل الأدبي وتماسكه.

(١) الاستطراد في الشعر الجاهلي: ص٤٣١.
(٢) الاستطراد في الشعر الجاهلي: ص٩٥.
(٣) الاستطراد في الشعر الجاهلي: ص١٤٩.
(٤) الاستطراد في الشعر الجاهلي: ص١٨٧.
(٥) الاستطراد في الشعر الجاهلي: ص٢١٧.
(٦) الاستطراد في الشعر الجاهلي: ص٢٤١.
(٧) الاستطراد في الشعر الجاهلي: ص٢٦١.

المبحث الثالث

الاستطراد دراسة تطبيقية

وفيه ثلاثة محاور:

المحور الأول : الاستطراد في القرآن الكريم.

المحور الثاني : الاستطراد في الحديث النبوي الشريف.

المحور الثالث : الاستطراد في الشعر.

المحور الأول

الاستطراد في القرآن الكريم

في هذا المحور سأتناول نماذج يسيرة من الاستطراد في القرآن الكريم، لا لأدلّل بها على وجوده في القرآن الكريم، بل على كثرته وشيوعه؛ ولأنّ المساحة المتاحة لي في المجلة ضيقة آثرت الاقتصار على هذه النماذج تاركاً المجال لإتاحة الفرصة لغيري أو لي مرة ثانية لدراسة الاستطراد في القرآن الكريم دراسة تطبيقية خاصة. وبعدما استقريت بعض مواضع الاستطراد في القرآن الكريم رأيت أن أراجع بعض التفاسير التي عنيت بالناحية البلاغية.

قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[١] .

هذه الآية استطراد لما قبلها من آيات تحدثت عن ذكر السوآت وخصف الورق عليها إظهاراً للمنة فيما خلق الله من اللباس، ولما في العُرْي وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى"[٢].

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتْ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ، كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُعْداً لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ، وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾[٣] .

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٦.

(٢) الإيضاح مع البغية: ٢٢/٤، وحاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٢٦٧/٤، ط دار الكتب العلمية، وحاشية محيي الدين شيخ زادة ٢٠٧/٤، ط دار الكتب العلمية، والبحر المحيط لأبي حيان التوحيدي: ٢٨٤/٤، ط دار الكتب العلمية.

(٣) سورة هود، الآيات: ٩٤-٩٦.

أما قوله تعالى: ﴿ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ فهو تشبيه البعد الذي هو انقراض مدين بانقراض ثمود، ووجه الشبه التماثل في سبب عقابهم بالاستئصال، وهو عذاب الصيحة، ويجوز أن يكون المقصود من التشبيه الاستطراد بذم ثمود؛ لأنهم كانوا أشدّ جرأة في مناوأة رسل الله فلمّا تهيأ المقام لاختتام الكلام في قصص الأمم البائدة ناسب أن يعاد ذكر أشدّها كفراً وعناداً فَشُبِّه هلك مدين بهلكهم"(١).

وعلق العلوي في الطراز على الآية بقوله: " فقوله (كما بعدت ثمود) استطراد بعد ذكره حال مدين وما كان منهم من التكذيب للرسل.

قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنْ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(٢).

بدأ الله –عز وجل– في الآية الأولى بأنّ "دلالة من حال الأجسام التي على الأرض كلّها مشعرةٍ بخضوعها لله تعالى خضوعاً مقارناً لوجودها وتقلّبها آناً فآناً علم بذلك من علمه وجهله من جهله، وأنبأ عنه لسان الحال بالنسبة لِما لا علم له، وهو ما خلق الله عليه النظام الأرضي خلقاً ينطق لسان حاله بالعبودية لله تعالى ، وذلك في أشدّ الأعراض مُلازمةً للذوات ، ومطابَقَةً لأشكالها وهو الظلّ"(٣).

ثم جاء الاستطراد في الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾؛ لأنه لما ذكر في الآية السابقة السجود القسري استطرد بعد فذكر سجوداً آخر بعضه اختيار وفي بعضه شبه اختيار، وتقديم المجرور (لله) على فعله (يسجد) مؤذن بالحصْر، أي: يسجد

(١) حاشية الشهاب ٢٢٥/٥، وحاشية زاده ٦٩٠/٤، والبحر المحيط ٤٨٠/٥، والتحرير والتنوير: ١٥٤/١٢.

(٢) سورة النحل، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٣)حاشية الشهاب ٢٢٥/٥، وحاشية زاده ٦٩٠/٤، والبحر المحيط ٤٨٠/٥، والتحرير والتنوير: ١٦٨/١٣.

لله لا لغيره ما في السموات وما في الأرض، وهو تعريض بالمشركين؛ إذ يسجدون للأصنام، وأوثرت (ما) الموصولة دون (من) تغليباً لكثرة غير العقلاء. و (من دابة) بيان لـــ(ما في الأرض)؛ وقوله: (ما في السموات) يشمل مخلوقات غير الملائكة، مثل الأرواح أو يراد بالسموات الأجواء فيراد بما فيها من الطيور والفراش.

وفي ذكر أشرف المخلوقات وأقلّها تعريض بذمّ من نزل من البشر عن مرتبة الدواب في كفران الخالق ، وبمدح من شابَه من البشر حال الملائكة"[١].

قال تعالى: ﴿ أَقِمْ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾[٢] .

إن هذه الآية الكريمة قد عينت أوقاتاً للصلوات بعد تقرر فرضها، فاللام في قوله تعالى: (لدلوك الشمس) لام التوقيت ، وهي بمعنى (عند). والدلوك : من أحوال الشمس، فوَرد بمعنى زوال الشمس عن وسط قوس فَرْضيّ في طريق مسيرها اليومي . وورد بمعنى : مَيْل الشمس عن مقدار ثلاثة أرباع القوس وهو وقت العصر ، وورد بمعنى غروبها ، فصار لفظ الدلوك مشتركاً في المعاني الثلاثة .

والغسق : الظلمة ، وهي انقطاع بقايا شعاع الشمس حين يماثل سواد أفق الغروب سواد بقية الأفق وهو وقت غيبوبة الشفق ، وذلك وقت العشاء ، ويسمى العتمة ، أي الظلمة. وقد جمعت الآية أوقاتاً أربعة ، فالدلوك يجمع ثلاثة أوقات باستعمال المشترك في معانيه ، والقرينة واضحة .... وجُعِلَ الغسق نهاية للأوقات"[٣]. فاستطرد الله – تعالى – من تعيين أوقات للصلاة إلى قراءة القرآن في صلاة الفجر،

---

(١)حاشية الشهاب ٩١/٦، وحاشية زاده ٤١٦/٥، والبحر المحيط ٦٨/٦، والتحرير والتنوير: ١٧٠/١٣-١٧١.

(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ٧٨، ٧٩.

(٣) التحرير والتنوير: ١٨٢/١٥.

ويعلق العلوي في الطراز على الآية بقوله: "فقوله: وقرآن الفجر، من الاستطراد الرائق؛ لأنه خرج من ذكر الليل إلى ذكر قرآن الفجر، ثم عاد بعده إلى ذكر الليل، وهذه فائدة الاستطراد وحقيقته".

قال تعالى : ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ (٨٤) وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ (٨٥) وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنْ الضَّالِّينَ (٨٦) وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾[١].

بين هذه الآيات وما قبلها حسن تخلص حيث إن الآيات السابقة "وقد قابل إبراهيم –عليه السلام– في دعائه النعم الخمس التي أنعم الله بها عليه المذكورة في قوله: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ إلى قوله: (يوم الدين). الراجعة إلى مواهب حسية بسؤال خمس نعم راجعة إلى الكمال النفساني كما أومأ إليه قوله: ﴿ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾"[٢].

أمّا الاستطراد فكان بين قوله تعالى: ﴿ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ حيث سأل الله –تعالى– أن يكون من المستحقين للجنة، وبين قوله: ﴿ وَاغْفِرْ لأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنْ الضَّالِّينَ ﴾ حيث سأل المغفرة لأبيه، ثم عاد إلى الدعاء لنفسه مرة ثانية في قوله تعالى: ﴿ وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴾. وجمال هذا الاستطراد يكمن في أنّه إذا جيء بأبيه مع الضالّين لحقه انكسار ولو كان قد استجيب له بقية دعواته ، فكان هذا آخر شيء تخوف منه لحاق مهانة نفسية من جهة أصله لا من جهة ذاته.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ، وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٨٣–٨٧.

(٢)حاشية الشهاب ١٩٣/٧، وحاشية زاده ٣٤٥/٦، والبحر المحيط ٢٥/٧، والتحرير والتنوير: ١٤٦/١٩.

اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ، وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[١].

بدأ الله الآيات بموعظة لقمان لابنه حتى يقلع عن الشرك؛ لأنه كما قال جمهور المفسرين: إن ابن لقمان كان مشركاً فلم يزل لقمان يعظه حتى آمن بالله وحده، وسرُّ ابتداء "لقمان موعظة ابنه بطلب إقلاعه عن الشرك بالله لأن النفس المعرضة للتزكية والكمال يجب أن يقدم لها قبل ذلك تخليتُها عن مبادىء الفساد والضلال، فإن إصلاح الاعتقاد أصل لإصلاح العمل . .... وجملة (إن الشرك لظلم عظيم) تعليل للنهي عنه وتهويل لأمره ، فإنه ظلم لحقوق الخالق ، وظلم المرء لنفسه؛ إذ يضع نفسه في حضيض العبودية لأخس الجمادات ، وظلم لأهل الإيمان الحق إذ يبعث على اضطهادهم وأذاهم ، وظلم لحقائق الأشياء بقلبها وإفساد تعلقها"[٢].

ثم استطرد الله –عز وجل– إلى توصية الإنسان بوالديه، ومناسبة هذا الاستطراد مما قبله أنّه "لما حكى الله –عز وجل– وصاية لقمان لابنه بما هو شكر الله بتنزيهه عن الشرك في الإلهية بيَّن الله أنه تعالى أسبق منَّة على عباده إذ أوصى الأبناء ببر الآباء فدخل في العموم المنة على لقمان جزاءً على رعيه لحق الله في ابتداء موعظة ابنه فالله أسبق بالإحسان إلى الذين أحسنوا برَعْي حقه . ويقوي هذا التفسير اقتران شكر الله وشكر الوالدين في الأمر"[٣].

---

(١) سورة لقمان، الآيات: ١٣–١٥.

(٢)حاشية الشهاب ٤١٧/٧، وحاشية زاده ٥٦٩/٦، والبحر المحيط ١٨٥/٧، والتحرير والتنوير: ١٥٥/٢١.

(٣) والتحرير والتنوير: ١٥٦/٢١.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى ﴾[١].

فالله –سبحانه– يدل على نفسه بإنزال الغيث واهتزاز الأرض بعد خشوعها ثم يستطرد الله –عز وجل– فيخبر عن قدرته على إعادة الموتى بعد إفنائها وإحيائها بعد إرجائها، وقد جعل ما تقدم من ذكر الغيث والنبات دليلا عليه ولم يكن في تقدير السامع لأول الكلام إلا أنه يريد الدلالة على نفسه بذكر المطر دون الدلالة على الإعادة فاستوفى المعنيين جميعا"[٢].

* * *

قال تعالى: ﴿ قُمْ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً ، نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً ، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلْ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ، إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ، إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً ، إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً ، وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ، رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾[٣].

(قم) : فِعْلٌ مُنَـــزَّل منـــزلة اللازم، فلا يحتاج إلى تقدير متعلق لأن القيام مراد به الصلاة، فهذا قيام مغاير للقيام المأمور به في سورة المدثر بقوله (قم فأنذر) فإن ذلك بمعنى الشروع، و (الليل): زمن الظلمة من بعد العشاء إلى الفجر. وانتصب (الليل) على الظرفية فاقتضى الأمر بالصلاة في جميع وقت الليل ، ويعلم استثناء أوقات قضاء الضرورات من إغفاء بالنوم ونحوه من ضرورات الإنسان.

---

(١) سورة فصلت، من الآية: ٣٩.

(٢) كتاب الصناعتين: ص٣٦٤. حاشية الشهاب ٣١٧/٨، وحاشية زاده ٢٩٢/٦، والبحر المحيط ٤٨٠/٥،

(٣) سورة المزمل، الآيات: ٢–٩.

وقيام الليل لقب في اصطلاح القرآن والسنة للصلاة فيه ما عدا صلاتي المغرب والعشاء[١]. وقوله: (إلاّ قليلاً) استثناء من الليل أي إلاّ قليلاً منه ، فلم يتعلق إيجاب القيام عليه بأوقات الليل كلها. و(نصفه) بدل من (قليلاً) بدلاً مطابقاً وهو تبيين لإجمال (قليلاً) فجعل القليل هنا النصفَ أو أقلَّ منه بقليل. وفائدة هذا الإجمال الإيماء إلى أن الأوْلى أن يكون القيام أكثر من مدة نصف الليل وأن جعله نصف الليل رحمة ورخصة للنبي –صلى الله عليه وسلم–. وقال: (أو زد عليه) وهو عود إلى الترغيب في أن تكون مدة القيام أكثر من نصف الليل[٢].

ثم استطرد الله – عز وجل– من أمر الرسول –صلى الله عليه وسلم– والمسلمين بقيام الليل إلى أمره بترتيل القرآن الكريم لذا رجح المفسرون أن يكون الأمر بترتيل القرآن في هذه الآية أمراً مستقلاً جرى ذكر بمناسبة الأمر بقيام الليل، قال الطاهر بن عاشور: وهذا أولى لأنّ القراءة في الصلاة تدخل في ذلك. والقول الثقيل هو القرآن وإلقاؤه عليه : إبلاغه له بطريق الوحي بواسطة الملَك، ثم عاد الله بعد ذلك إلى ذكر قيام الليل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ أي: أن في قيام الليل تزكية وتصفية لسرّك وارتقاء بك إلى المراقي الملكية[٣].

وعلق العلوي في الطراز على هذا الاستطراد بقوله: "فقوله: (إنا سنلقي عليك قولا ثقيلاً) استطراد؛ لأنه وسَّطه بين أوصاف الليل وما ذكره من أحكامه ثم رجع إلى حال الليل بعد ذكره بقوله: إنا سنلقي، وهذه فائدة الاستطراد ومعناه"[٤].

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٥٨/٢٩.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٥٩/٢٩.

(٣)حاشية الشهاب ٣٠٧/٩، وحاشية زاده ٣٨٥/٨، والبحر المحيط ٣٥٣/٨، والتحرير والتنوير: ٢٦٢/٢٩.

(٤) الطراز: ص ١٣/٣.

المحور الثاني

الاستطراد في الحديث النبوي الشريف

في هذا المحور سأتناول نماذج يسيرة من الاستطراد في الحديث النبوي الشريف، لا لأدلّل بها على وجوده في الحديث النبوي الشريف، بل على كثرته وشيوعه؛ ولأنّ المساحة المتاحة لي في المجلة ضيقة آثرت الاقتصار على هذه النماذج تاركاً المجال لإتاحة الفرصة لغيري أو لي مرة ثانية لدراسة الاستطراد في الحديث النبوي الشريف دراسة تطبيقية.

عن جابر بن عبدالله : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول عام الفتح وهو بمكة: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام) فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس ؟ فقال (لا هو حرام) ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم عند ذلك (قاتل الله اليهود إن الله عز و جل لما حرم عليهم شحومها أجملوه ثم باعوه فأكلوا ثمنه»[1].

قد حرَّم الإسلام كلّ ما فيه مضرَّة دينية أو عقلية أو جسمية، والرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث يبين بعضاً مما حرمه الله –تعالى– على هذه الأمة، فقد حرَّم الله عليهم بيع الخمر والميتة والخنـــزير والأصنام؛ لأنها خبائث تضرّ بالعقل والجسم والدين، فعلى المسلم أن يتجنبها، ولما كان في بعض هذه الأشياء المحرمة ما قد يُظنّ أنه نافع سأل بعضُ الصحابة النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– عن شحوم الميتة؛ لأن الناس ينتفعون بها في طلاء السفن ودهن الجلود والاستصباح، فبيَّن لهم الرسول –صلى الله عليه وسلَّم– أنها حرام أيضاً مع وجود تلك المنافع فيها، ثم استطرد النبي –صلى الله عليه وسلَّم– إلى الدعاء على اليهود بأن يهلكهم الله. ثم يبين النبي –صلى الله عليه وسلَّم– مكر هؤلاء اليهود وحيلهم في تعطيل شرع الله وارتكاب المحرم. وكأن النبي –

(١) متفق عليه، صحيح البخاري: باب بيع الميتة والأصنام. وصحيح مسلم باب تحريم بيع الميتة والخمر.

صلى الله عليه وسلم- يحذر أمته أن يفعلوا مثل ما فعلت يهود فيستحقوا مثل ما استحقوا من العذاب واللعنة.

فالاستطراد قصده النبي -صلى الله عليه وسلم- لهذا الغرض، وقد استدعاه المقام وذكر العلوي في الطراز هذا الحديث مستشهداً به على الاستطراد فقال: "فقوله: (قاتل الله اليهود) من باب الاستطراد؛ لأنه قطعه عن حديث ما قبله، ثم رجع إلى حديث ما كان تركه، وهذه هي فائدة الاستطراد"(١).

عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما-: أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »(٢).

لقد خصَّ الله نبيَّه محمداً -صلى الله عليه وسلم- بمزايا لم يخص بها أحداً ممن سبقه من الأنبياء، ومن بين تلك المزايا هذه الخصوصيات التي ذكرها النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث. والاستطراد في قوله: (فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل)؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلّم- استطرد بها بعدما ذكر العطاء الثاني من الله له، ثم عاد بعد ذلك فاستكمل باقي العطاءات التي أعطاه الله إيّاها.

* * *

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: « لا تكونوا ممن خَدَعَتْهُ العاجلة ، وغرته الأمنية ، واستهوته الخدعة ، فركن إلى دار سريعة الزوال ، وشيكة الانتقال ؛ إنه لم يبق من دنياكم هذه في جنب ما مضى إلا كإناخة راكب ، أو صرّ حالب ، فعلام

---

(١) الطراز: ١٤/٣.

(٢) الحديث في كتاب البحر المديد: ٤٩٤/٥ ، تأليف : أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، ط٢/ دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٤٢٣ هـ.

تعرجون ؟ وماذا تنتظرون ؟ فكأنكم بما قد أصبحتم فيه من الدنيا كأن لم يكن ، وبما تصيرون إليه من الآخرة لم يزل...».

الاستطراد في هذا الحديث جاء في قوله: « فعلام تعرجون؟ وماذا تنتظرون؟». وقد أناف على الغاية في الرشاقة والحسن وزاد، لأن ما قبله وما بعده ذكر الدنيا بما فيها من النفاد والزوال، ولكنه –عليه الصلاة والسلام– وسطه على جهة الاستطراد ثم رجع إلى ما شرع فيه من ذمّ الدنيا والإخبار عن نفادها وغرورها وزوالها.

المحور الثالث

الاستطراد في الشعر

إن نماذج وشواهد الاستطراد في الشعر العربي كثيرة، وحسبنا أن نعلم أنه تقليد فني لم تشذّ عنه قصيدة في العصور الأولى للأدب؛ لذا سأكتفي بدراسة الاستطراد في قصيدتين من روائع الأدب العربي نظراً لضيق المساحة المتاحة لهذا البحث في المجلة، وهاتان القصيدتان هما: مرثية أبي ذؤيب الهذلي[1]، ومعلقة عنترة بن شداد العبسي. والأولى هي:

أمِن المَنون ورَيبهـــــــا تتوجَّعُ ... والدَّهرُ ليس بمُعتـــبٍ مَن يجزَعُ

قالتْ أُميمةُ ما لِجسمك شاحباً ... منذُ ابتُذِلْتَ ومثلُ مـــالِكَ ينفَعُ

أمْ ما لجنبك لا يُلائمُ مضجعاً ... إلاَّ أقضَّ عليك ذاكَ المضـــجَعُ

فأجبتُها أنْ ما لجســـــميَ أنَّهُ ... أودَى بَنِيَّ من البـــلادِ فودَّعوا

أودَى بنيَّ وأعقَبوني حَســـرةً ... عند الرُّقاد وعَبرةً ما تُقلـــــعُ

سَبَقوا هويَّ وأعْنَقوا لِهواهُـــمُ ... فَتُخُرِّموا ولكلِّ جنبٍ مصرَعُ

فغَبرتُ بعدهمُ بعيش نـــاصِب ... وإخالُ أنِّي لاحـــــقٌ مُستتبَعُ

---

(١) انظر شرح هذه القصيدة شرحاً أدبيا ولغويا وبلاغيا في المصادر والمراجع الآتية: ديوان الهذليين– نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ص١– ص٢١. ط دار الكتب القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٥م، وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، تحقيق: محمد علي الهاشمي، ج٢/ص٦٨٣، والشعر والشعراء لابن قتيبة: ص٢٥٢، وخزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، ج١/ص٤١٨، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، وديوان المفضليات لأبي العباس المفضل بن محمد الضبي مع شرح وافر لأبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، تحقيق: كارلوس يعقوب لايل، ص: ٨٤٨ إلى ص٢٨٢، ط مطبعة الآباء اليسوعيين، شرح المفضليات للتبريزي، تحقيق علي محمد البجاوي، القسم الثالث: ص ١٣٩٧ إلى ص١٤٤٩، ط دار نهضة مصر للطبع والنشر، المفضليات، تحقيق عبد السلام هارون وأحمد شاكر: ص٤١٩ إلى ص٤٢٩، قراءة في الأدب القديم د. محمد محمد أبو موسى: ص٣٠٦.

ولقد حَرَصتُ بأن أُدافعَ عنهمُ ... فإذا المنيَّةُ أقبلتْ لا تُدفَـــعُ

فالعينُ بعدهمُ كأنَّ حِـداقَها ... سُملتْ بشوكٍ فهْيَ عُورٌ تدمَعُ

وإذا المنيَّةُ أنشبتْ أظفـــارَها ... ألفيتُ كلَّ تميمةٍ لا تنفَـــعُ

حتَّى كأنِّي للحوادثِ مَروةٌ ... بصفا المُشرَّقِ كلَّ يوم تُقرَعُ

لاَبُدّ مِنْ تَلَفٍ مُقيمٍ، فانْتَظِرْ ... أَبِأَرْضِ قَوْمِكَ أَمْ بِأُخْرَى المَصْرَعُ

ولَقَدْ أَرَى أَنَّ البُكاءَ سَفاهَةٌ ... ولسَوْفَ يُولَعُ بالبُكا مَنْ يُفْجَعُ

وَلَيَأْتِيَنّ عَلَيْكَ يَوْمٌ مَـــرّةً ... يُبْكَى عَلَيْكَ مُقَنَّعاً لا تَسْمَعُ

وتجلَّدي للشَّامتينَ أُريهـــمُ ... أنِّي لرَيب الدَّهر لا أتضعضَعُ

والنَّفـــسُ راغبةٌ إذا رغَّبْتَها ... فإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقنَـــعُ

كم مِن جَمِيع الشَّمْلِ مُلْتَئِم الهـوى ... باتوا بعيْشٍ ناعم فتَصَدَّعُوا

فلَئِنْ بِهِمْ فَجعَ الزَّمانُ وَريْبُـهُ ... إِنِّي بأَهْلِ مَوَدَّتِي لَمُفَجَّـعُ

والدَّهْرُ لا يَبْقَى عَلَى حَدَثـانِهِ ... في رأس شـاهقةٍ أعزُّ مُمَنَّعُ

والدَّهْرُ لا يَبْقَى عَلَى حَدَثانِهِ ... جَوْنُ السَّرَاةِ لهُ جَدَائِدُ أَرْبَعُ

صَخِبُ الشَّوارِبِ لايَزَالُ كأَنَّهُ ... عَبْدٌ لآلِ أَبِي رَبيعَةَ مُسْبَعُ

أَكَلَ الجَمِيمَ وطاوَعَتْهُ سَمْحَجٌ ... مِثْلُ القَناةِ وأَزْعَلَته الأَمْرُعُ

بِقَرَارِ قِيعانٍ سَقاها وَابِـــلٌ ... وَاهٍ، فَأَثْجَمَ بُرْهَةً لا يُقْلِـعُ

فَلَبِثْنَ حِيناً يَعْتَلِجْنَ بِرَوْضِـةٍ ... فَيُجِدُّ حِيناً في العِلاَجِ ويَشْمَعُ

حتَّى إِذَا جَزَرَتْ مِياهُ رُزُونِهِ ... وبأَيِّ حِينٍ مَـلاوَةٍ تَتقَطَّعُ

ذكَرَ الْوُرُودَ بها وشَاقَى أَمْرَهُ ... شُؤْمٌ وأَقْبَـلَ حَيْنُهُ يَتَتَبَّعُ

فَافْتَنَّهُنَّ مِنَ السوَاءِ ومـاؤُهُ ... بَثْرٌ، وعانَدَهُ طريقٌ مَهْيَـعُ

فكأَنَّها بالجِزْعِ بَيْنَ يُنـابعٍ ... وأُولاَتِ ذِي العَرْجاءِ نَهْبٌ مُجْمَعُ

وكأَنَّهُنَّ رِبـابةٌ وكأَنَّهُ ... يَسَرٌ يُفِيضُ على القِدَاحِ ويَصْدَعُ

وكأَنَّما هُو مِـدْوَسٌ مُتقَلِّبٌ ... في الكَفِّ إلاَّ أَنَّهُ هُوَ أَضْلَعُ

فَوَرَدْنَ والعَيُّوقُ مَقْعَدَ رَابِىءِ الـ ... ـضُّرَباءِ فَوقَ النَّظْمِ لا يَتَتَلَّعُ

فَشَرَعْنَ في حَجَرَات عَذْبٍ بارِدٍ ... حَصِبِ البِطاحِ تَغِيبُ فيه الأَكرُعُ

فَشَرِبْنَ ثمَّ سَمِعْنَ حِسًّا دُونَهُ ... شَرَفُ الحِجابِ ورَيْبَ قَرْعٍ يُقْرَعُ

فَشَرِبْنَ ثمَّ سَمِعْنَ حِسًّا دُونَهُ ... شَرَفُ الحِجابِ ورَيْبَ قَرْعٍ يُقْرَعُ

ونَمِيمَةً مِنْ قـانِصٍ مُتلَبِّبٍ ... في كَفِّهِ جَشْءٌ أَجَشُّ وأَقْطَعُ

فَنَكِرْنَهُ فنَفَرْنَ وامْتَرَسَتْ بهِ ... سَطعَاءُ هَادِيَةٌ وهادٍ جُرْشُعُ

فَرَمَى فأَنْفَذ مِنْ نَجُودٍ عائِطٍ ... سَهْماً، فَخَرَّ وريشُهُ مُتَصَمِّعُ

فَبَدَا لَهُ أَقْرَابُ هَذَا رَائغـاً ... عَجِلاً، فَعَيَّثَ في الكِنانة يُرْجِعُ

فَرَمَى فأَلْحَقَ صاعِدِيًّا مِطْحَراً ... بالكَشْحِ فاشْتَمَلَتْ عليهِ الأَضْلُعُ

فأَبَدَّهُنْ حُتُوفَهُنَّ فَهـارِبٌ ... بِذَمائِهِ أَو بارِكٌ مُتَجَعْجِعُ

يَعْثُرْنَ في حَدِّ الظُّباتِ كأَنَّما ... كُسِيَتْ بُرُودَ بَنِي يَزِيدَ الأَذْرُعُ

والدَّهْرُ لاَ يَبْقَي على حَدَثانِهِ ... شَبَبٌ أَفَزَّتْهُ الكِلاَبُ مُرَوَّعُ

شَعَفَ الكلاَبُ الضَّارِياتُ فُؤَادَهُ ... فإِذَا رأَى الصُّبْحَ المُصَدَّقَ يَفْزَعُ

ويُعوذُ بالأَرْطَى إِذَا ما شَفَّهُ ... قَطْرٌ ورَاحَتْهُ بَلِيـــــلٌ زَعْزَعُ

يَرْمِي بِعَيْنَيْهِ الغُيُوبَ وطَرْفُهُ ... مُغْضٍ يُصَدقُ طَرْفُهُ ما يَسْمَعُ

فَغَدَا يَشرِّق مَتْنَهُ فَبدَا لـــــهُ ... أُولَى سَوَابِقِها قَرِيباً تُوزَعُ

فاهْتاجَ منْ فَزَعٍ وسَدَّ فُرُوجَهُ ... غُبْرٌ ضَوَارٍ وَافيانِ وأَجْدَعُ

يَنْهَشْنَهُ ويذُبُّهُنَ ويَحْتَـــمِي ... عَبْلُ الشَّوَى بالطُّرَّتَيْنِ مُوَلَّعُ

فَنَحا لها بِمُذَلَّقَيْنِ كأَنَّمـــا ... بِهِما منَ النَّضْحِ المُجَدَّحِ أَيْدعُ

فكأَنَّ سَفُّـــــودَيْن لَمَّا يُقْتِرَا ... عجِلاَ لهُ بِشِوَاءِ شَرْبٍ يُنْزَعُ

فصَرَعْنَهُ تحتَ الغُبارِ وجَنْبُهُ ... مُتَتَرِّبٌ، ولكلِّ جَنْبٍ مَصْرَعُ

حتَّى إِذا ارتَدَّتْ وأَقْصَدَ عُصْبَةً ... منها، وقامَ شرِيدُها يَتضَوَّعُ

فَبدَا لهُ رَبُّ الكِلاَبِ بِكَفِّهِ ... بِيضٌ رِهابٌ ريشُهُنَّ مُقَزَّعُ

فَرَمَى لِيُنْقِذَ فَرَّها فَهَوَى لهُ ... سَهْمٌ، فأَنْفَذَ طُرَّتَيْهِ المِنْزَعُ

فَكَبَا كما يَكْبُو فَنيقٌ تارِزٌ ... بالخَبْثِ إِلاَّ أَنَّهُ هُوَ أَبْرَعُ

والدَّهْرُ لا يَبْقَى على حدَثانِهِ ... مُسْتَشْعِرٌ حَلَقَ الحديدِ مُقنَّعُ

حَمِيَتْ عليه الدِّرْعُ، حتَّى وَجْهُهُ ... منْ حَرِّها يومَ الكريهَةِ أَسْفَعُ

تَعدُو بهِ خَوْصاءُ يَفْصِمُ جَرْيُها ... حَلَقَ الرِّحَالَةِ فَهْيَ رِخْوٌ تَمْزَعُ

قَصَرَ الصَّبُوحَ لها فَشُرِّجَ لَحْمُها ... بالنَّيِّ فَهْيَ تَثُوخُ فيها الإِصْبَعُ

مُتفَلِّقٌ أَنْسَـــاؤُها عنْ قانِيءٍ ... كالقُرْطِ صَاوٍ غُبْرُهُ لاَ يُرْضَعُ

تَأَبَى بِدِرَّتِها إِذا ما اسْتُكْرِهَتْ ... إِلاَّ الحَمِيـــــمَ فإِنَّهُ يَتَبَضَّعُ

بَيْنَا تَعَنُّقِهِ الكُماةَ ورَوْغِـــهِ ... يَوْماً أُتِيحَ لهُ جَرِيءٌ سَلْفَعُ

يَعْدُو بهِ نَهِشُ المُشَاشِ كأَنَّهُ ... صَدَعٌ سَلِيمٌ رَجْعُهُ لاَ يَظْلَعُ

فَتناديَا وتَوَافَقَتْ خَيْلاَهُما ... وكِلاَهُما بَطَلُ اللِّقاءِ مُخَدَّعُ

متَحامِيَيْنِ المَجْدَ، كلٌّ وَاثِقٌ ... بِبلائِـــــهِ، والْيَوْمُ يَوْمٌ أَشْنَعُ

وعليهما مَسْرُودَتانِ قَضَاهُما ... دَاوُودُ أَو صَنَعُ السَّوَابِغ تُبَّعُ

وكِلاَهُمـــــا في كَفِّهِ يَزَنِيَّةٌ ... فيها سِنانٌ كالمنارَةِ أَصْلَعُ

وكِلاَهُما مُتَوَشِّحٌ ذَا رَوْنَقٍ ... عَضْباً إِذَا مَسَّ الضَّرِيبَةَ يَقْطَعُ

فَتَخالَسَا نَفسَيْهِما بنَوَافِـــذٍ ... كَنَوَافِذِ العُبُطِ الَّتي لاَ تُرْقَـــعُ

وكِلاهُما قد عاشَ عِيشَةَ ماجِـــدٍ ... وجَنَى العَلاَءَ، لَوَ انَّ شيْئاً يَنْفَعُ

يرثي الشاعر في هذه القصيدة أولاده، فهو يتحدث عن الموت وسطوة الدهر وقوته وشراسته في تعامله مع الأحياء، فيصور حاله بعد ما هلك أولاده، ومدى ما لحق به من غصة وأن دموعه لا تنقطع بعد فقدهم ثم يبرز أمنيته التي لم تتحقق في أنه كان يرغب لو مات هو قبلهم حتى لا يعاني ويكابد ما يعانيه ويكابده من جراء فقدهم فقد بذل كل ما في وسعه كي يفديهم من هذا المصير، لكن هذه هي المنية إذا أقبلت لا يمكن دفعها، فهي كالسبع المفترس يفتك بفريسته ثم يترك الشاعر الحديث عمَّا ألَّم به ويستطرد بذكر المنية في قوله:

.... فإذا المنيَّةُ أقبلتْ لا تُدفَعُ

وإذا المنيَّةُ أنشبتْ أظفارَها ... ألفيتُ كلَّ تميمةٍ لا تنفَعُ

ثم يعود بعد هذا الاستطراد إلى وصف حالته بعد هذه الفجيعة التي هزت أركانه في قوله:

فالعينُ بعدهمُ كأنَّ حِداقَها سُملتْ بشوكٍ فهْيَ عُورٌ تدمَعُ

ثم يستطرد الشاعر بعد ذلك فيزجى الحكمة في قوله:

والنَّفسُ راغبةٌ إذا رغَّبْتَها وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقنَعُ

ثم يعود الشاعر إلى رثاء أولاده، وبيان سطوة الدهر وقوته وأنه لا يفلت منه أحد في قوله:

فلئن بهم فجع الزمان وريبه إني بأهل مودتي لمفجع

والدَّهرُ لا يبقَى على حَدَثانه في رأس شاهقة أعز ممنع

والدَّهرُ لا يبقَى على حَدَثانه جَونُ السَّراة له جدائدُ أربَعُ

فالدهر ى يبقى مع حدثانه وجميع تقلباته حي دائم الحياة، بل لا بد له من الموت والهلاك، ثم يستطرد بذكر قصة هذا الحمار الوحشي مع شدّة حذره ويقظته ونفوره من كلّ ما من شأنه أن يريب ، صغيراً كان أو كبيراً بل لابد أن يدركه الموتُ لا محالة. وإن هذا الحمار الذي حاول الشاعر رسم صورته ليس حماراً هزيلاً منفرداً في البراري يعيش بمفرده بل هو يتمتع بمعاشرة أزواجه من الأتن وهو صحيح في بدنه، قوي في جسمه ليس بالهزيل ولا بالضعيف، ثم هو يرعى في المراعي الخضراء ويأكل الجميم من النبت الذي يكثر فكأنّه جمة، ثم إن أتنه ليست بالهزيلة تبعاً، بل توفرت فيها صفات القوة والجمال من طول ونشاط، فهذا الحمار قد توافرت له عوامل من شأنها أن تصرف حسَّه عمَّا يريب بانشغاله بالأتن. وما زال الشاعر في استطراده فيصف جمال المكان وروعته وصفاً دقيقاً، فهو أخصب المراعي وأطيبها؛ لأنه في متوسط قيعان لأودية غمرتها الأمطار حقبة من الزمن، وما دام هذا حال المرعى فإن تلك الأتن قد استطابت ذلك المكان وظلت فيه، يلاعب بعضها بعضاً من الأنس، إذ اكتمل لها كل ما تشتهيه من حمار قوي، ومكان طيب مليء بالحياة والجميم من النبات، لكن هذه الحالة لم تستمرّ، وقدَّر الزمنُ عادته الدائمة، فجفَّت المياه واستحالت الأرض المعشبة إلى أخرى جرداء ليس فيها نبات، فتذكر الحمار ذلك الماضي ، ولحظات وروده الماء، وأيقن عطش الأتن معه، وحاجتها للماء، فأخذ يسوقها إلى مواضع أخرى للماء كان قد ألف زيارتها، فجمع الأتن حوله خوفاً عليها من مكايد الصيادين، الذين يتربصون

للحمير في تلك الطرقات؛ لكثرة ما أُرْصِدَ له من مكايد الصيادين؛ فلذلك جمع الأتن حوله كمن يجمع إبلاً سرقها خشية تفرقها، فساق تلك الأتن وقطع بها أرضاً مستوية حتى وصل إلى طريق واسع، آخذين أنواعاً وفنوناً في السير، حسب وعورة المكان وسهولته، ونشاطهم وفتورهم، وصوَّر لنا صورة بديعة دالة على شدة اجتماعهنّ؛ إذ جعل الأتن بمثابة قداح الميسر المجتمعة على رقعة واحدة، وجعل الحمار هو صاحب تلك القداح، فتارة يجمع بعض القداح بجوار بعض، وتارة يفرق بينها، ثم يصف صلابة ذلك الحمار وقوته، يقول التبريزي: "شبهه بالمدوس؛ لما يتولاه من إصلاح شؤون الأتن".

فهذه الصورة المستطرد بها طالت حتى استحوذت على عشرين بيتاً من قصيدة الشاعر فقصّة هذا الحمار الوحشي مع أتنه، كأنّ الشاعر يومئ بها إلى قصته مع أولاده وأنه يشبهها بكل تفصيلاتها، وعلى الرغم من طول هذا الاستطراد إلا أن الشاعر رجع إلى موضوعه الأساس وهو رثاء أولاده في هذه النبرة الحزينة التي يأتي بها بعد هذا الاستطراد في قوله:

والدَّهرُ لا يبقَى على حَدَثانه شَبَبٌ أفَزَّتْهُ الكلابُ مُرَوَّعُ

وفي الشطر الثاني من هذا البيت يستطرد الشاعر بذكر قصّة جديدة لمأساة ثانية يوضح فيها سطوة هذا الدهر وتسلطه على الأحياء فالموت لا ينجو منه أحد يستوي في ذلك الإنسان والحيوان ومن يعيش في الوهاد ومن يعيش في أعالي الجبال والقصة المستطرد بها هنا قصة ثور مستفزّ مروع يحيط به الخطر، فالكلاب أذهبن فؤاده، والصائد يباكره في الصباح، ثم هو يعود بالأرطى ويحتمي إذا جهده المطر في هذا الليل البارد الشديد الريح، والثور يرمي بطرفه المواضع التي لا يُرى ما وراءها يخاف أن يأتيه منها مكروه، ثم غدا الثور يشرق متنه للشمس ليجف ما على ظهره من الندى، فظهر له أولى سوابق الكلاب، ودارت معركة بينها وبينه كان الثور أن ينتصر فيها على الكلاب لولا الصائد الذي رمى هذا الثور ليشغله عن الكلاب، فكبا الثور كما يكبو فحل الإبل وكانت هذه نهايته ثم يعود الشاعر إلى موضعه الأساس وهو وصف الدهر وبيان قوته وشراسته وأنه يخترم الأحياء ولا يفرق بين الإنسان والحمار الوحشي والثور، هكذا نرى إلحاح الشاعر من خلال هذه الاستطرادات على اختزام المنية للأحياء وهذه الاستطرادات مهما اختلفت وتغايرت إلا أنها تنقل للمتلقي تلك

الحقيقة المرة التي يلح الشاعر على ذكرها وتكرارها، ثم يستطرد الشاعر بذكر قصة بطلين تصارعا وفصل في وصف كل منهما انتقل إلى وصف اللحظة التي تجمعها فذكر أنهما تناديا وتوافقت خيلاهما ثم يصف الشاعر نهايتهما بقوله: (فتخالسا) أي جعل كل واحد منهما يختلس نفس صاحبه وكأن أبا ذؤيب يدلل على أن الإنسان مهما أوتي من قوة لابد وأن ينهزم أمام الموت، تلك الحقيقة التي أراد الشاعر أن يصورها من استطراداته.

أمّا القصيدة الثانية (معلقة عنترة) [1] فهي:

١- هل غَــادَرَ الشُّعــراءُ مِن مُتردَّمِ ... أمْ هل عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّـــمِ
٢- يا دَارَ عَبْلَةَ بالجِـــواءِ تَكَلَّمِي ... وَعِمِي صَبَــاحاً دَارَ عبْلَةَ واسلَمِي
٣- فَوَقَفْتُ فيها نَاقَتِي وكَأَنَّهَـــا ... فَــدَنٌ لأَقْضيَ حَـــاجَةَ المُتَلَوِّمِ
٤- وتَحُلُّ عَبلَةُ بالجِـــوَاءِ وأَهْلُنَا ... بالحَـــزنِ فَالصَّمَّـــانِ فَالمُتَثَلِّمِ
٥- حُيِّيْتَ مِنْ طَلَلٍ تَقادَمَ عَهْــدُهُ ... أَقْـــوى وأَقْفَرَ بَعدَ أُمِّ الهَيْثَـــمِ
٦- حَلَّتْ بأَرض الزَّائِرينَ فَأَصْبَحَتْ ... عسراً عليَّ طِلاَبُكِ ابنَةَ مَخْـــرَمِ
٧- عُلِّقْتُهَا عَرَضاً وأَقْتلُ قَوْمَهَـــا ... زعَماً لَعَمْرُ أبيكَ لَيـــسَ بِمَزْعَمِ
٨- ولقد نَزَلْتِ فَــلا تَظُنِّي غَيْرَهُ ... مِنّي بِمَنْزِلَةِ المُحبِّ المُكْـــرَمِ
٩- كَيفَ المَزارُ وقد تَربَّــع أَهْلُهَا ... بِعُنَيْزَتَيْنِ وأَهْلُنَا بالغَيْلَـــمِ
١٠- إنْ كُنْتِ أزْمَعْتِ الفِراقَ فَإنَّمَا ... زُمَّتْ رِكَابُكُمُ بِلَيْلٍ مُظْلِـــمِ
١١- مَا رَاعَني إلاَّ حَمولةُ أَهْلِــهَا ... وسْطَ الدِّيَارِ تَسَفُّ حَبَّ الخِمْخِمِ
١٢- فِيهَا اثْنَتانِ وأَرْبعونَ حَلُوبَــةً ... سُوداً كَخــافيةِ الغُرَابِ الأَسْحَمِ
١٣- إذْ تَسْتَبِيْكَ بِذِي غُروبٍ وَاضِحٍ ... عَذْبٍ مُقَبَّلُهُ لَذيذِ المَطْعَـــمِ
١٤- وكَأَنَّ فَارَةَ تَاجرٍ بِقَسِيْمَـــةٍ ... سَبَقَتْ عوَارِضَها إليكَ مِن الفَـــمِ
١٥- أوْ رَوْضةً أُنُفاً تَضَمَّـــنَ نَبْتَهَا ... غَيْثٌ قليـــلُ الدِّمْنِ ليسَ بِمَعْلَمِ
١٦- جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ ... فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كالدِّرْهَـــمِ
١٧- سَحّاً وتَسْكــاباً فَكُلَّ عَشِيَّةٍ ... يَجْرِي عَلَيهـــا المَاءُ لَم يَتَصَرَّمِ
١٨- وَخَلَى الذُّبَابُ بِهَا فَلَيسَ بِبَارِحٍ ... غَرِداً كَفِعْلِ الشَّـــاربِ المُتَرَنِّمِ
١٩- هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَــهُ بذِراعِهِ ... قَدْحَ المُكِبِّ على الزِّنَــادِ الأَجْذَمِ
٢٠- تُمْسِي وتُصْبِحُ فَوْقَ ظَهْرِ حَشِيّةٍ ... وأَبِيـــتُ فَوْقَ سَرَاةِ أدْهَمَ مُلْجَمِ

---

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات- الأنباري، تحقيق عبد السلام هارون.

٢١- وَحَشِيَّتِي سَرْجٌ على عَبْلِ الشَّوَى نَهْـــــدٍ مَرَاكِلُهُ نَبِيـــلِ المَحْزِمِ
٢٢- هَـــــل تُبْلِغَنِّي دَارَهَا شَدَنِيَّةَ لُعِنَتْ بِمَحْرُومِ الشَّـــــرابِ مُصَرَّمِ
٢٣- خَطَّـــــارَةٌ غِبَّ السُّرَى زَيَّافَةٌ تَطِسُ الإِكَـــــامَ بذاتِ خُفٍّ مِيْثَمِ
٢٤- وكَأَنَّمَا تَطِسُ الإِكَـــامَ عَشِيَّةً بِقَرِيبِ بَينَ المَنْسِمَيْنِ مُصَلَّـــــمِ
٢٥- تَأْوِي لَهُ قُلُصُ النَّعَامِ كَما أَوَتْ حِزَقٌ يَمَانِيَةٌ لأَعْجَمَ طِمْطِـــــمِ
٢٦- يَتْبَعْنَ قُلَّةَ رأْسِهِ وكَـــــأَنَّهُ حَرَجٌ على نَعْشٍ لَهُـــــنَّ مُخَيَّمِ
٢٧- صَعْلٍ يعُودُ بِذِي العُشَيرَةِ بَيْضَهُ كَالعَبْدِ ذِي الفَرْوِ الطَّوِيلِ الأَصْلَمِ
٢٨- شَرِبَتْ بِماءِ الدُّحرُضينِ فَأَصْبَحَتْ زَوْراءَ تَنْفِرُ عن حِيَـــاضِ الدَّيْلَمِ
٢٩- وكَأَنَّما تَنْأَى بِجانبِ دَفِّها الـــ وَحْشِيِّ مِنْ هَـــزِجِ العَشِيِّ مُؤَوَّمِ
٣٠- هِرٍّ جَنِيبٍ كُلَّمـــــا عَطَفَتْ لهُ غَضْبَى اتَّقَـــاهَا بِاليَدَينِ وَبِالفَمِ
٣١- أبقى لها طولُ السِّفَارِ مُقَرْمَـــداً سَنَداً ومثلَ دعـــــــائم المتخيّم
٣٢- بَرَكَتْ عَلَى ماءِ الرِّدَاعِ كَأَنَّما بَرَكَتْ عَلَى قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّـــمِ
٣٣- وكَأَنَّ رُبًّا أَوْ كُحَيْلاً مُقْعَـــداً حَشَّ الوَقُـــودُ بِهِ جَوَانِبَ قُمْقُمِ
٣٤- يَنْبَاعُ منْ ذِفْرَى غَضوبٍ جَسرَةٍ زَيَّافَةٍ مِثلِ الفَنِيقِ المُكْـــــدَمِ
٣٥- إِنْ تُغْدِفِي دُونِي القِنـــاعَ فإِنَّني طَبٌّ بِأَخذِ الفَـــــارسِ المُسْتَلْئِمِ
٣٦- أَثْنِي عَلَيَّ بِمَـــا عَلِمْتِ فإِنَّني سَمْحٌ مُخَالَطَتِي إِذَا لم أُظْلَـــــمِ
٣٧- فإِذَا ظُلِمْتُ فإِنَّ ظُلْمِيَ بَاسِلٌ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ كَطَعْـــــمِ العَلْقَمِ
٣٨- ولقَد شَرِبْتُ مِنَ المُدَامةِ بَعْدَ ما رَكَدَ الهَواجرُ بالمشوفِ المُعْلَـــمِ
٣٩- بِزُجـــاجَةٍ صَفْراءَ ذاتِ أَسِرَّةٍ قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ في الشَّمَـــالِ مُفَدَّمِ
٤٠- فإِذَا شَرِبْتُ فإِنَّني مُسْتَهْلِـــكٌ مَالي وعِرْضي وافِرٌ لَم يُكلَـــــمِ
٤١- وإِذَا صَحَوتُ فَما أُقَصِّرُ عنْ نَدَىً وكَما عَلمتِ شَمـــائِلي وتَكَرُّمي
٤٢- وحَلِيلِ غَانِيةٍ تَرَكْتُ مُجـــدَّلاً تَمكُو فَرِيصَتُهُ كَشَدْقِ الأَعْلَـــمِ
٤٣- سَبَقَتْ يَدايَ لهُ بِعاجِلِ طَعْنَةٍ ورِشاشِ نافِذَةٍ كَلَوْنِ العَنْـــــدَمِ

٤٤- هَلاَّ سأَلْتِ الخَيلَ يا ابنةَ مالِكٍ إنْ كُنْتِ جـــاهِلَةً بِمَا لَم تَعْلَمِي

٤٥- إذْ لا أزَالُ عَلَى رِحَالةِ سَابِحٍ نَهْدٍ تعـــاوَرُهُ الكُمـــاةُ مُكَلَّمِ

٤٦- طَوْراً يُجَرَّدُ للطِّعـــانِ وتَارَةً يَـــأْوِي إلى حَصِدِ القِسِيِّ عَرَمْرَمِ

٤٧- يُخْبِرْكِ مَنْ شَهِدَ الوَقِيعَةَ أنَّني أَغْشى الوَغَى وأَعِفُّ عِنْد المَغْنَـــمِ

٤٨- ومُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزَالَـــهُ لامُمْعِـــــنٍ هَرَباً ولا مُسْتَسْلِمِ

٤٩- جَادَتْ يدايَ لهُ بِعاجِلِ طَعْنةٍ بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الكُعُـــوبِ مُقَوَّمِ

٥٠- برَحِيبَةِ الفَرْغَيْنِ يهدي جَرْسُها بالليل مُعْتَسَّ الذِّئـــاب الضُّرَّمِ

٥١- فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيابَهُ ليسَ الكَـــريمُ على القَنا بِمُحَرَّمِ

٥٢- فتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَـــاعِ يَنُشْنَهُ ما بين قُلَّة رأســـه والمِعْصَـــمِ

٥٣- ومَسَكٍّ سابغةٍ هَتَكْتُ فُروجَها بالسَّيف عنْ حَامِي الحَقيقَة مُعْلِمِ

٥٤- رَبذٍ يَـــدَاهُ بالقِـــدَاح إذَا شَتَا هَتَّاكِ غَاياتِ التِّجـــــارِ مُلَوَّمِ

٥٥- لَّما رَآني قَدْ نَزَلـــــتُ أُريدُهُ أَبْدَى نَواجِـــذَهُ لِغَيرِ تَبَسُّـــمِ

٥٦- فَطعنْتُهُ بالرُّمْـــحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ بِمُهَنَّدٍ صافِي الحَديدَةِ مِخْـــذَمِ

٥٧- عَهدِي بِهِ مَدَّ النَّهارِ كَأَنَّمـــا خُضِبَ البَنَانُ ورَأْسُـــهُ بالعِظْلَمِ

٥٨- بَطـــلٍ كأَنَّ ثِيابَهُ في سَرْحةٍ يُحْذَى نعَـــالَ السِّبْتِ لِيْسَ بتوْأَمِ

٥٩- ياشَاةَ ما قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لهُ حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهـــا لم تَحْرُمِ

٦٠- فَبَعَثْتُ جَارِيَتي فَقُلْتُ لها اذْهَبي فَتَحَسَّسِي أَخْبـــارَها لِيَ واعْلَمِي

٦١- قَالتْ : رَأيتُ مِنَ الأَعادِي غِرَّةً والشَّاةُ مُمْكِنَةٌ لِمَنْ هُو مُرْتَـــمِ

٦٢- وكأَنَّهَا التَفَتَتْ بجيدِ جَدَايَـــةٍ رَشَإٍ مِنَ الغِـــــزْلانِ حُرٍّ أَرْثَمِ

٦٣- نُبِّئتُ عَمْراً غَيْرَ شاكِرِ نِعْمَتِي والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ المُنْعِـــــمِ

٦٤- ولقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بالضُّحَى إذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الفَمِ

٦٥- في حَوْمَةِ المـــوت التي لا يتقي غَمَرَاتِها الأَبْطَالُ غَيْرَ تَغَمْغُـــمِ

٦٦- إذْ يَتَّقُونَ بِيَ الأَسِنَّةَ لم أَخِـــمْ عَنْها ولَكنِّي تَضَـــايَقَ مُقْدَمي

٦٧- لَّما رَأيْتُ القَوْمَ أقْبَلَ جَمْعُهُـمْ يَتَذَامَرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّـمِ
٦٨- يَدْعُونَ عَنْتَرَ والرِّماحُ كأَنَّهـا أشْطَانُ بِئْرٍ في لَبانِ الأَدْهَـمِ
٦٩- مازِلْتُ أَرْمِيهِمْ بغرَّة وجهـه ولَبَـانهِ حَتَّى تَسَرْبَلَ بالـدَّمِ
٧٠- ولقَدْ شَفَى نَفْسي وأبْرَأَ سُقْمَهَا قِيْلُ الفَـوارِسِ وَيْكَ عَنْتَرُ أَقْدِمِ
٧١- وَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنا بِلَبَـانهِ وشَكَـا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُـمِ
٧٢- لو كانَ يَدْرِي مَا المُحاوَرَةُ اشْتَكَى أو كان لو عَلِمَ الكَـلامَ مُكَلِّمِي
٧٣- والخَيلُ تَقْتَحِمُ الخَبَارَ عَوَابِساً مِن بَيْنِ شَيْظَمَةٍ وأجردَ شَيْظَـمِ
٧٤- ذُلِلٌ رِكَابِي حَيْثُ شِئْتُ مُشَايِعِي لُبِّي وأَحْفِـزُهُ بِأَمْـرٍ مُبْرَمِ
٧٥- ولقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ ولَم تكن للحَرْبِ دَائِرَةٌ على ابْنَيْ ضَمْضَـمِ
٧٦- الشَّاتِمَيْ عِرْضِي ولَم أَشْتُمْهُمَا والنَّاذِرَيْنِ إِذا لقيتُهُـمَا دَمِي
٧٧- إِنْ يَفْعَلا فَلَقَدْ تَرَكتُ أَباهُمَا جَزَرَ السِّباعِ وكُلِّ نِسْرٍ قَشْعَـمِ
٧٨- إِني عدانِي أن أزورَكِ فاعلمي ما قد علمْتِ وبعضُ ما لم تعلمي
٧٩- حالتْ رماحُ ابنَيْ بغيضٍ دونكم وزَوَتْ جَوانِي الحربِ من لم يُجْرِمِ

هذه القصيدة لها مذاق خاص يغاير مذاق الاستطراد في مرثية أبي ذؤيب حيث إن الاستطراد فيها طويل حتى ليخيل إلى للقارئ أن الشاعر قد نسي موضوعه الأساس فلا يعود إليه مرة ثانية فإذا بالشاعر يفاجئه فيعود إلى موضوعه الأساس المستطرد عنه. بينما الاستطراد هنا في معلقة عنترة قصير ما يكاد الشاعر يبدأ بذكر المستطرد حتى ينتهي ويعود إلى موضوعه الأساس المستطرد عنه.

والمتتبع للأوصاف والمعاني التي استطرد عنها إلى ذكر غيرها ثم عاد إليها مرة ثانية يجدها تدور أوصافاً للمحاور الآتية: الأطلال والديار، المرأة، الناقة، الفرس، الفخر، فقد تنقل عنترة على سبيل الاستطراد حينما أراد أن يصف هذه المحاور.

قلنا: كان هذا التنقل على سبيل الاستطراد ولم يكن على سبيل حسن التخلص لتحقق شرط الاستطراد فيه، وهو الرجوع إلى المعنى الأول أو الوصف الأول

المقصود للشاعر، وكثرة الاستطراد في هذه المعلقة له أهمية بلاغية وجمالية عظيمة، فعنترة أراد أن يجعل قصيدته مترابطة الأجزاء، كما أنه أراد أن يستميل الشاعر ويجعله في حالة تيقظ دائم، وأن يطرد عنه الملل والسآمة فالكلام إذا جاء على وتيرة واحدة مله السامع.

والمعلقة دارت حول خمسة أمور ذكر الشاعر أوصافها واستطرد أثناء ذكر هذه الأوصاف، والخمسة أمور هي:

أولاً: أوصاف الأطلال والديار التي اتخذها الشاعر مرتكزاً لقصيدته ، ذكرها الشاعر في الأبيات رقم: ١-٢-٣-٤-٥-٨. وقد استطرد خلالها بذكر الناقة والمرأة ثم عاد إلى ذكر الطلل. ففي الأبيات من ١-٤ يتحدث الشاعر عن أوصاف أطلال وديار عبلة "ولا يفكر على براعة الاستهلال هذه كون الاستفهام في المطلع إنكاريّاً بمعنى النفي؛ لأنّ العبرة بالانشغال بأمر المغادرة بصفة عامّة، ولعلنا إذا دققنا النظر في مطالع القصائد- وبخاصة الجاهلية منها- التي بدئت بذكر الأطلال والديار وجدنا أن هناك خيطاً شعوريّاً دقيقاً بين المطلع والجوّ العام للقصيدة، أو أهمّ أغراضها...." [1].

وفي البيت الخامس يستطرد الشاعر من ذكر أوصاف الأطلال والديار إلى ذكر أوصاف عبلة فيصفها بأنها آنسة وأنها عضيض الطرف وثغرها مبتسم ثم يعود بعد هذا الاستطراد القصير الذي لم يبلغ إلا بيتاً واحداً للحديث عن ناقته التي ذكرها في البيت من المعلقة فيقول:

فَوَقَّفْتُ فيها نَاقَتي وكَأَنَّهَا فَدَنٌ لأَقْضي حَاجَةَ المُتَلَوِّمِ

فيصفها بأنها (فدن) أي هي تشبه القصر في قوته وصلابته، ثم يعود في البيت الثامن إلى ذكر باقي صفات الطلل الذي استهلّ به قصيدته فيحييه ويصفه بأنه أقوى وأقفر بعد أم الهيثم. وأمّ الهيثم: كنية عبلة، يقول:

---

(١) الصورة البيانية في معلقة عنترة بن شداد العبسي، د. عبد الجواد محمد محمد طبق. ص: ٢١.

حُيِّيْتَ مِنْ طَلَلٍ تَقادَمَ عَهْدُهُ أَقْوى وأَقْفَرَ بَعدَ أُمِّ الهَيْثَمِ

وهذا الرجوع إلى وصف هذا الطلل على دليل خروج الشاعر إلى وصف الناقة وخروجه إلى وصف المرأة إنما كان على سبيل الاستطراد؛ لأن الشاعر عاد إلى غرضه الأصلي وهو وصف لطلل الذي كان مقصوداً لديه.

ثانيا: أوصاف المرأة والاستطراد أثناءه:

كان أول ذكر لعبلة في البيت الرابع من المعلقة يحدد فيه عنترة مكانها في قوله:

وتَحُلُّ عَبلَةُ بِالجَوَاءِ وأَهْلُنَا بالحَزنِ فَالصَّمَانِ فَالمُتَثَلَّمِ

ثم استطرد بعده بذكر الطلل في البيت الخامس، ثم عاد الشاعر إلى ذكر عبلة في البيت السادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر، ثم استطرد الشاعر إلى وصف الرحل في البيت الثاني عشر، ثم عاد إلى ذكر أوصاف عبلة في البيت الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر، ثم استطرد إلى وصف الذُّباب في البيتين الثامن عشر والتاسع عشر، ثم عاد إلى وصف عبلة في البيتين العشرين والحادي والعشرين، ثم استطرد إلى وصف الناقة وأطال في هذا الاستطراد، ثم عاد إلى خاطبها في قوله:

هَلاَّ سأَلْتِ الخَيلَ يا ابنةَ مالِكٍ إنْ كُنْتِ جاهِلَةً بِمَا لَم تَعْلَمِي

ثم استطرد من هذا البيت إلى ذكر أوصاف هذا الفرس، ثم استطرد إلى فخره بما يفعله في المعركة وذكر صفاته النبيلة حينما يعفّ عند المغنم، ثم عاد إلى ذكر الحديث عنها في قوله في البيت التاسع والخمسين:

ياشَاةَ ما قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لهُ حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَها لم تَحْرُمِ

ثالثا: أوصاف الناقة والاستطراد أثناءه:

الشاعر يبدأ حديثه عن ناقته في البيت الثالث وفيه يقول:

فَوَقَّفْتُ فيها نَاقَتي وكَأَنَّهَا فَدَنٌ لأَقْضي حَاجَةَ المُتَلَوِّمِ

فيشبهها بالقصر في الضخامة ثم يترك الشاعر الحديث عن ناقته ويستطرد بالحديث عن الأطلال ثم ينقل إلى الحديث عن المرأة وأوصافها.

ثم يعود إلى حديثه الأساس عن الناقة في الأبيات من ٢٢-٣٤ ، و"من الملاحظ في هذه الأبيات أن الهدف من تصوير الناقة المتمناة هو بيان ما تتمتع به من قوة وصلابة وضخامة وخفّة ونشاط لتطيع الوفاء بالغرض المنشود منها، وهو أن تصل به إلى موطن صاحبته التي كانت تقيم بالجواء بينما كان يقيم هو بديار بني تميم التي ذكرها في مواضعها الحزن والصمان والمتثلم، وقد وصلت أساليب التشبيه في هذه الأبيات إلى أحد عشر أسلوباً سبعة منها خاصة بالناقة وأربعة وردت استطراداً في حديثه عن الظليم الذي صور به الناقة في الأبيات الآتية:

تَأْوِي لَهُ قُلُصُ النَّعَامِ كَما أَوَتْ حِزَقٌ يَمَانِيَّةٌ لأَعْجَمَ طِمْطِمِ
يَتْبَعْنَ قُلَّةَ رأْسِهِ وكأَنَّهُ زوجٌ على حرجٍ لَهُنَّ مُخَيَّمِ
صَعْلٍ يعُودُ بِذِي العُشَيرَةِ بَيْضَهُ كَالعَبْدِ ذِي الفَرْوِ الطَّوِيلِ الأَصْلَمِ

لكن ما علاقة هذه التشبيهات الأربعة لها مساس بحديث الناقة، كما أن فيها ظلالاً من واقع عنترة الذي عاشه ونفسية عنترة التي تحسها في كل شعره وإن كان يعبر به

في الظاهر عن أمور أخري قد تبدو بعيدة عن ذلك"[1].

هذه هي وظيفة الاستطراد في الأسلوب فلم يكن تقليداً فنيّاً يلجأ إليه الشعراء فحسب، وإنما كان لدواعٍ نفسية أخرى يستخدمه االشعراء لإبرازها وإظهارها إلى حيز الوجود يتحدث الدكتور/ طبق عن الجانب النفسي لهذا الاستطراد فيقول: "فإنك تلاحظ في هذه الأبيات الثلاثة سيطرة الحديث عن الإيواء والتبعية واللون الأسود والعبودية على التشبيهات، وهذه الأمور الثلاثة ليست بعيدة عن حياة ونفسية عنترة،

(١) الصورة البيانية في معلقة عنترة بن شداد العبسي، ص: ٥٦.

فقد كان تابعاً للسادة، كما أنّه حبشيأسود تبعاً لأمّه، كما أنّه كان عبداً، ولا شك أن ظلال هذه الجوانب الثلاثة في حياته بقيت لها آثار بعيدة المدى في نفسه حتى بعد ظفره بحريته، وكأنّ التعبير عنها كان من قبيل ما يعرف بالإسقاط في علم النفس"[1].

ثم يتابع الشاعر حديثه عن باقي صفات هذه الناقة المتمناة التي تصل به إلى موطن صاحبته حيث كانت تقيم بالجواء بينما كان يقيم هو بديار بني تميم التي ذكر من مواضعها الحزن والصمان والمتثلم في قوله.

رابعاً: الحديث عن الخيل والاستطراد أثناءه:

كان أول ذكر للشاعر عن الخيل في البيت الرابع والأربعين في قوله:

هَلاَّ سأَلْتِ الخَيلَ يا ابنةَ مالِكٍ إنْ كُنْتِ جاهِلَةً بِمَا لَم تَعْلَمِي

ثم استطرد من هذا البيت إلى وصف المعركة وما يفعله فيها ويطيل في هذا الوصف، ثم يتطرد بذكر المرأة وصفاتها ثم يعود إلى ذكر المعركة ثم يعود إلى ذكر الخيل في البيت الواحد والسبعين وما بعده في قوله:

وَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنا بِلبانِهِ وشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ
لو كانَ يَدْرِي مَا المُحاوَرَةُ اشْتَكَى وَلَكانَ لو عَلِمْ الكَلامَ مُكَلِّمِي
والخَيلُ تَقْتَحِمُ الخَبَارَ عَوَابِساً مِن بَيْنَ شَيْظَمَةٍ وَآخَرَ شَيْظَمِ

خامساً: فخر الشاعر بفروسيته في المعارك أو ببعض صفات أخرى والاستطراد أثناءه:

كان أول ذكر لفخر الشاعر بفروسيته وحديثه عن صفاته في البيت الخامس والثلاثين في قوله:

إِنْ تُغْدِفِي دُونِي القِناعَ فإِنَّنِي طَبٌّ بِأَخذِ الفَارسِ المُسْتَلْئِمِ

---

(١) الصورة البيانية في معلقة عنترة بن شداد العبسي، ص: ٥٦، ٥٧.

ويستمرّ الشاعر في الحديث عن نفسه إلى البيت الثامن والخمسين، ثم يستطرد إلأى ذكر المرأة في قوله:

ياشَاةَ ما قَنَصٍ لِمَنْ حَلَّتْ لهُ حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَها لم تَحْرُمِ

ثم يعود إلى الفخر بفروسيته وقدرته على خوض المعارك الشديدة في قوله:

في حَوْمَةِ الموتِ التي لا يتقي غَمَرَاتِها الأَبْطَالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ

إِذْ يَتَّقُونَ بيَ الأَسِنَّةَ لم أَخِـــمْ عَنْهـــا ولَكنِّي تَضَايَقَ مُقْدَمي

ثم استطرد إلى الحديث عن الخيل ووصف غمرة المعركة في البيت الثالث والسبعين ثم ختم قصيدته باستكمال الحديث عن فروسيته.

ومن المشهور عند السموأل:

وَإِنَّا لَقَوْمٌ لا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا ما رَأَتْهُ عامِرٌ وَسَلُولُ

يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطـــول

يفخر الشاعر في أول هذين البيتين بعد رؤيتهم عيباً في القتل إذا كان دفاعاً عن الحرم والأعراض في المعارك، وهذا المعنى مشهور عند العرب، وكان موضع فخارهم، ثم يترك هذا الفخر ويأخذ في الهجاء هجاء قبيلتي عامر وسلول، رأيا في هذا النوع من القتل سبة عيباً، ثم يعود إلى الفخر مرة ثانية في البيت الثاني بأن حبّ خوض المعارك والموت فيها يقرب لهم الآجال، وبذلك يكون الشاعر قد أكمل ما ابتدأه في البيت الأول، وخروج الكلام على هذا النحو يسمى بالاستطراد.

قال الشاعر:

إذا ما تقى الله الفتى، وأطاعه فليس به بأس وإن كان من جرم

فالشاعر يبدأ بيته بالوعظ فيمدح تقوى الغنى لله سبحانه وتعالى وطاعته له في كل سيء، ثُمَّ يتحوَّل إلى هجاء قبيلة جرم على سبيل الاستطراد.

قال الشاعر:

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة فإن تسلَّتْ أسَلْنَاهـــا على الأسَلِ

لا يترل المجد إلا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المُقَلِ

في البيت الأول يلتزم الشاعر طريقاً من طرق الشعر وهو الحماس، ثم يقطع حماسه ويتحول إلى فن وطريق آخر وهو طريق الفخر على سبيل الاستطراد[1].

(١) البلاغة (المعاني والبيان والبديع) تأليف العلامة النحوي عمر بن علوى بن أبي بكر الكاف، ط/دار المنهاج.

الخاتمة

الحمد لله بنعمته تتم الصالحات بعد هذه المعايشة الطيبة لهذا الفن البديعي في المدينة المنورة نصل إلى خاتمة هذا البحث لنسجل أبرز ما أسفر عنه من نتائج، وقبل ذكر النتائج أحب أن أنوه إلى أن هذا البحث جاء في مقدمة، وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرسين.

المقدمة: تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره وخطته ومنهجه.

المبحث الأول: الاستطراد النشأة والتطور، وفيه ثلاثة محاور:

المحور الأول: الاستطراد في ظلال الدراسات الأدبية والنقدية القديمة.

المحور الثاني: الاستطراد في ظلال الدراسات البلاغية القديمة.

المحور الثالث: الاستطراد في ظلال الدراسات البلاغية والأدبية الحديثة.

المبحث الثاني: الاستطراد دراسة فنية، وفيه ثلاثة محاور:

المحور الأول: تعريف الاستطراد في اللغة والاصطلاح.

المحور الثاني: الفرق بين الاستطراد وبين ما تشابه معه من الفنون البلاغية.

المحور الثالث: قيمة الاستطراد البلاغية.

المبحث الثالث: الاستطراد دراسة تطبيقية، وفيه ثلاثة محاور:

المحور الأول: الاستطراد في القرآن الكريم.

المحور الثاني: الاستطراد في الحديث النبوي الشريف.

المحور الثالث: الاستطراد في الشعر.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج.

ثم وضعت فهرس أحدهما للموضوعات والآخر للمصادر والمراجع.

هذا هو ملخص البحث. أما عن النتائج التي أسفر عنها هذا البحث فهي:

١-كثرة الاستطراد وشيوعه في الأدب العربي شعراً ونثراً.

٢-عرَّف العرب الاستطراد واستعملوه في كلامهم قبل إطلاق المصطلح عليه.

٣-أول من أطلق مصطلح الاستطراد.

٤-مرَّ الاستطراد في نشأته وتطوره بمرحلتين: الأولى: في كتابات الأدباء والنقاد. والثانية: في كتابات البلاغيين.

٥-لم يحدِّد مفهوم الاستطراد تحديداً علميّاً إلا في كتابات البلاغيين.

٦-خلط بعض البلاغيين الاستطرادوغيره من الفنون البلاغية.

٧-لم يحظ الاستطرادفي العصر الحديث بعناية البلاغيين لا تأليفاً ولا تطبيقاً.

٨-أثبتت الدراسة الفروق الجوهرية بين الاستطراد ما تشابه معه من الفنون البلاغية كالتفريع- والإدماج- والاستتباع- وإيهام الاستطراد- والخروج- والالتفات.

٩-جاء الاستطراد كثيراً في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ولم يكن كما زعم بعض البلاغيين بقلته في القرآن الكريم.

التوصيات:

توصي هذه الدراسة أن تتجه أنظار الباحثين إلى دراسة الاستطراد في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف دراسة تطبيقية.

فهرس المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم.
٢-الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة- محمد بن علي الجرجاني، ط/دار الكتب العلمية.
٣-البحث البلاغي والنقدي عند ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة- سليمان بن ناصر الصيقل، ط/مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
٤-البديع في نقد الشعر- أسامة بن منقذ، تحقيق أحمد أحمد بدوي، ود. حامد عبد المجيد، ط/مطبعة مصطفى الحلبي.
٥-بغية الإيضاح- عبد المتعال الصعيدي – ط مكتبة الآداب.
٦-البلاغة العربية – عبد الرحمن حسن بن حبنكة الميداني، ط دار القلم، بيروت.
٧-التبيان في البيان – شرف الدين الطيبي، ط دار الكتب العلمية.
٨-تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن القرآن – ابن أبي الأصبع المصري.
٩-تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ط دار الكتب العلمية.
١٠- التصوير المجازي والكنائي – د. صلاح الدين محمد أحمد غراب.
١١- حاشية الشهاي على تفسير البيضاوي، ط دار الكتب العلمية.
١٢- حاشية زاده ط. دار الكتب العلمية.
١٣-حلية المحاضرة- الحاتمي.
١٤-دراسات منهجية في علم البديع – الشحات محمد أبو ستيت.
١٥-دلائل الإعجاز – عبد القاهر الجرجاني – تحقيق محمود محمد شاكر، ط. الهيئة العامة للكتاب.
١٦-ديوان الهذليين.

١٧- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات – الأنباري، تحقيق عبد السلام هارون، ط/ دار المعارف.
١٨-شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع- صفي الدين الحلي- ط مجمع اللغة العربية بدمشق.
١٩-الشعر الجاهلي – د. عبد المنعم خفاجي، ط. دار الكتاب اللبناني.
٢٠-شروح التلخيص – ابن يعقوب المغربي وغيره- ط. دار الكتب العلمية.
٢١-الطراز – يحيى بن حمزة العلوي، ط. دار الكتب العلمية.
٢٢-العصر الجاهلي- د. شوقي ضيف، ط دار المعارف.
٢٣-العمدة في محاسن الشعر وآدابه – ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمد قرقزان، ط دار المعرفة.
٢٤-فنّ البديع – عبد القادر حسين، ط. دار الشروق.
٢٥-الفن والصنعة في مذهب أبي تمام – د. محمود الربداوي، ط. المكتب الإسلامي.
٢٦-القول البديع في علم البديع – يوسف الحنبلي – تحقيق محمد علي الصامل، ط. كنوز أشبيليا.
٢٧-كتاب الصناعتين الكتابة والشعر – أبو هلال العسكري – حققه مفيد قميحة، ط. دار الكتب العلمية.
٢٨-لسان العرب- ابن منظور.
٢٩-المصباح في المعاني والبيان والبديع- بدر الدين بن مالك – تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط. دار الكتب العلمية.
٣٠-نظرية البيان بين عبد القاهر والمتأخرين – حسن إسماعيل عبد الرزاق.

الرسائل العلميّة:

الاستطراد في الشعر الجاهلي بين الأصول الفنية والدواعي النفسية، د. عبد الخالق بن مساعد الزهراني – رسالة ماجستير، مخطوط في كلية العربية بالجامعة الإسلامية بال.مدينة المنورة.